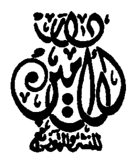
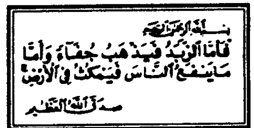
نفحات

« إن لكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها »

تاج الدين نوفل







القاهرة : ١٣ شارع البركة الناصرية (من شارع نوبار) السيدة زينب - لاظوغلي
ت : ٣٥٥٤٣٧٦ ف : ٣٩٠٠١٣٠
ص.ب: ١٣١٥ العتبة ١١٥١١

الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش)
الهرم - تليفون : ٥٦٣٤٦٩٩
ص.ب: ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع ٩٤٤٣/١٩٩٩
ISBN : 977-279-253-2

التنفيذ الطباعى : دار الأمين للطباعة

نفحـــات

«إن لكم فى أيام دهركم لنفحات .. ألا فتعرضوا لها»

يقول تعالى:

(*) ﴿إنَّ عدَّةَ الشُّهُورِ عند اللَّه اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللَّه يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مع الْمُتَّقِينَ﴾(1)

(*) ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِه لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّه معنا﴾(2)

يقول الهادى البشير ﷺ: «صيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين .. سنة ماضية.. وسنة مستقبلة.. وصوم يوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة ماضية»(3)

يقول تعالى :

(*) ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عليه وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(4)

(*) ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(5)

(*) ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (6)

(*) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾(7)

(*) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(8)

---

(1) سورة التوبة آية (36)

(2) سورة التوبة آية (40).

(3) متفق عليه.

(4) سورة الأحزاب (56)

(5) سورة الإسراء آية (1)

(6) سورة البقرة آية (144)

(7) سورة البقرة آية (185)

(8) سورة البقرة آية (183)

(*) ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1]

(*) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[2]

(*) ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[3]

يقول الهادى البشير ﷺ :

(*) « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر »[4].

ويقول جل وعلا:

(*) ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[5]

(*) ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[6]

(*) ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [7]

(*) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [8]

---

(١) سورة القدر آية (١-٣).
(٢) سورة آل عمران آية (١٢٣) .
(٣) سورة الفتح آية (١ ـ ٣).
(٤) رواه مسلم .
(٥) سورة البقرة آية (١٩٧).
(٦) سورة الفجر آية (١-٢).
(٧) سورة الكوثر .
(٨) سورة الجمعة آية (٩).

هذا الكتاب ..

يتضمن المناسبات الدينية .. والنفحات الإيمانية .. والتجليات الإلهية.. والمكاشفات اللدنية .. التى يتجلى الله بها على عباده فى أيام :

(١) الهجرة.

(٢) عاشوراء.

(٣) ميلاد الرسول.

(٤) الإسراء والمعراج.

(٥) تحويل القبلة.

(٦) شهر رمضان : الصيام ، ليلة القدر ، نزول القرآن.

(٧) غزوة بدر.

(٨) فتح مكة.

(٩) العيد.

(١٠) الأيام الستة.

(١١) الحج.

(١٢) العشر الأوائل من ذى الحجة : يوم التروية، يوم عرفة، يوم النحر.

(١٣) عيد الأضحى.

(١٤) يوم الجمعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«إن لكم فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها»(١).

أى : إن لنا فى أيامنا.. أياماً مباركة .. وفى ليالينا ليالى طيبة .. يتجلى الله فيها على عباده ويغفر لهم .. ويتجاوز عنهم

هذه الأيام ليست كسائر الأيام .. وهذه الليالى ليست كسائر الليالى .. فهى أيام وليالى خصها الله تعالى بكرامات غير الكرامات .. وبركات غير البركات.. وتجليات غير التجليات.. الحسنة فيها بآلاف الحسنات والخير فيها بآلاف الخيرات .. والقربة فيها بآلاف القربات.. والمنحة فيها بآلاف المنحات. والنفحة فيها بآلاف النفحات.. وهى وهى .. ولله المثل الأعلى .. على سبيل المثال .. ولله الكمال والجمال والجلال .. مثل (الأوكازيونات) التخفيضات التى تعلن عنها الشركات فى أوقات محددة من العام .. تخفض فيها الأسعار .. وتحطم فيها الأرقام ..

وهذه النفحات التى يمنحها الله تعالى لعباده فى بعض الأيام والليالى فى كل عام : كيوم عرفة .. ويوم الجمعة .. ويوم النحر ويوم عاشوراء .. وليلة القدر .. وليلة الإسراء والمعراج .. وليلة النصف من شعبان . وشهر المحرم .. وشهر رمضان .. وليلة الهجرة .. وليلة الميلاد .. وليلتى العيد .. إلخ

كل هذه النفحات وهذه التجليات فى تلك الليالى المباركات والأيام الطيبة .. تكون فيها الحسنات مضاعفات - الحسنة فيها بسبعين حسنة .. والسنة فيها بفريضة .. والخير فيها بخير عام .. والصوم فيها بصيام عام.. والقيام فيها بقيام عام .. كإحياء ليلة القدر عند الحجر الأسود فى البيت الحرام ...

إنها النفحات التى تأتى كل عام ..

---

(١) رواه البخارى وغيره.

والتى يأمرنا فيها المصطفى ﷺ أن نتعرض لها كلما أتت.. وألا نتركها تمر هباء دون أن نأخذ منها الزاد والنور.. إلى يوم النشور .. فنقطف منها ما فيها من ورود.. إلى اليوم الموعود .. فإنها لا تعود إلى يوم القيامة .. فما من يوم ينشق فجره إلا وينادى : «أنا يوم جديد على عملك شهيد .. فاغتنمنى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة » أى : خذ : من شبابك لهرمك .. ومن صحتك لمرضك .. ومن فراغك لشغلك .. ومن غناك لفقرك .. ومن دنياك لآخرتك[1] ..

فإن اليوم الذى يمضى هو جزء من عمرك مضى .. فاغتنم ما تبقى من أيام .. وما بقى من عمر .. قبل فوات الأوان وحلول الهوان.. فالموت قائم فى كل آن .. ليس له مكان وليس له زمان .. يأتى بلا استئذان .. ويدخل دون أذان .. يبدد الأبدان .. ويهلك الإنسان.. فى يوم عصيب.. وموقف مخيف .. فإلى متى التسويف ؟

فعليك بهذه النفحات . فإن نفحة واحدة تكفيك على مدى الأيام .. وإن نفحة واحدة تكفر ذنوب عام مضى وعام أتى.. وإن هذا كل عام .. على مدى الليالى والأيام .. فاظفر بهذه النفحات .. واغتنم تلك البركات .. فلن تعود أبداً .. ولن يعود اليوم الذى فات ..

«إن لكم فى أيام دهركم لنفحات .. ألا فتعرضوا لها »[2].

وهذا الكتاب يحمل لك تلك النفحات.. وهذه النسمات المباركات.. التى نزلت علينا والتى تلقيتها معك نفحة نفحة . فأرسلتها إليك رحمة رحمة.. من خلال النفحة الكبرى نفحة الإيمان التى من الله بها علينا .. ونعمة الإسلام التى شرفنا الله بها..

(*) فهذه نفحة الأشهر الحرم .. والربيع.. وشعبان .. ورمضان..

(*) وهذه نفحة الهجرة المباركة - والتى كانت بداية الإسلام والمحبة والسلام ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

(*) وهذه نفحة عاشوراء .. التى لها من الرحمات والبركات منذ خلق الله آدم عليه السلام.. وإلى خاتم الأنبياء .. ومسك الختام - محمد ﷺ وإلى آخر الزمان.. ما لا يعد ولا يحصى ..

(١) من حديث : اغتنم خمساً قبل خمس : تأويلاً..

(٢) رواه البخارى وغيره .

(*) وهذه نفحة ميلاد الرسول ﷺ التى أضاءت الدنيا بأنوارها .. وملأت الأرض بأسرارها .. فكانت ميلاداً للنور.. ونهاية لظلام .. والكفر والأصنام.. والطواغيت والأنصاب والأزلام .

(*) وهذه نفحة الإسراء والمعراج بكل ما فيها من علو وارتقاء .. ورفعة وسمو.. وروحانية وصفاء .. وخوف ورجاء.. ومحبة ورضاء .. وارتباط للسماء بالأرض.. والتقاء للأرض بالسماء .. فى أسمى لقاء .. فما أحلى اللقاء ..

إنها أسمى دعاء وأرقى نداء وأبقى عطاء .. إنه لقاء النور بالضياء .. لقاء الله برسوله خاتم الأنبياء ﷺ.. أين ؟ فى أعلى سماء .. عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فى رحاب النور المقدس والآلاء .

(*) وهذه نفحة النصف من شعبان.. وتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(١) .

واها لوجهك يا محمد واها فرش السماء كواكبا وكساها

فلقد تقلب فى السماء تضرعا يبغى التحول هائماً لسواها

فاصبر كما صبر الكبار عزيمة ونولينك قبلة ترضاها(٢)

فى شهر شعبان حيث ترفع فيه الأعمال إلى الله .. فكان ﷺ يصومه كله إلا قليلاً .. وإذا سئل عن ذلك .. قال : «هذا شهر يغفل الناس فيه بين رجب ورمضان .. وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله.. فأحب أن يرفع فيه عملى وأنا صائم»(٣).

(*) وهذه نفحة رمضان وما أدراك ما رمضان .. شهر القرآن .. شهر الإحسان .. شهر الصيام .. شهر النصر العظيم .. والفتح الأعظم .. شهر غزوة بدر الكبرى .. وفتح مكة العظيم .. وليلة القدر: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾(٤) .

---

(١) سورة البقرة آية (١٤٤).
(٢) من شعر المؤلف .
(٣) رواه أحمد وغيره.
(٤) سورة القدر آية (١-٥).

إنه شهر الفتوحات الكبرى ... والبركات العظمى .. والكرامات العليا .. وهو الشهر الوحيد الذى ذكر فى القرآن الكريم .. وهو الشهر الذى نزلت فيه كل الكتب السماوية السابقة.. الزبور والصحف والتوراة والإنجيل والقرآن .. فهو شهر النفحات السماوية والفيوضات الربانية ..

(*) وهذه نفحة العيد وما فيه من خيرات .. وما يحمل من نسمات مباركات فى يوم الفطر والأيام البيض..ففيه ستة أيام .. من صامها بعد رمضان كان كمن صام الدهر كله .. ذلك أن شهر رمضان ثلاثون يوماً وأن الأيام البيض .. ستة من شوال .. فيكون مجموعها ستة وثلاثين يوماً .. والحسنة بعشر أمثالها .. فتكون كمن صام ثلاثمائة وستين يوماً .. هى نفسها عدد أيام العام .. وهو يفعل ذلك كل عام .. فيكون بذلك كمن صام الدهر كله .. ويكون بذلك قد حقق معنى الحديث الشريف : « من صام رمضان .. وأتبعه بست من شوال كان كمن صام الدهر »[1] فبيضوا وجوهكم بالأيام الستة البيض كما أن يوم العيد هو يوم الجائزة .. حيث ينال فيه المسلم جائزة الصيام من الملائكة الكرام .. بالحب والسلام .. والمغفرة والرضوان .. وبشرى الجنة دار السلام .

(*) وهذه نفحة الحج الأكبر فى أيام العشر الأوائل من ذى الحجة .. وهى أفضل عشرة أيام فى العام كله .. ففيها يوم التروية.. وفيها يوم عرفة .. وفيها يوم النحر.. وهى أعظم الأيام على الإطلاق حتى قيل : إن أيام العشر الأوائل من ذى الحجة .. خير من أيام العشر الأواخر من رمضان.. وإن ليالى العشر الأواخر من رمضان .. خير من ليالى العشر الأوائل من ذى الحجة.. وفى الحديث الشريف .. يقو ل الهادى البشير ﷺ:

«ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى منه فى هذه الأيام العشر ... قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله ..؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله .. إلا رجل خرج بنفسه وماله .. ثم لم يرجع من ذلك بشىء »[2] وهى الأيام التى أقسم الله بها فى كتابه الحكيم بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[3] ولهذا يستحب فيها الإكثار من التكبير والتهليل والتحميد . كما أن فيها يوم النحر: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

(١) روراه الجماعة إلا البخارى والنسائى .. «الحسنة بعشر أمثالها .. ورمضان بعشرة شهور .. والأيام الستة بشهرين».
(٢) رواه البخارى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) .
(٣) سورة الفجر آية (١-٢).

(*) وهذه نفحة العيد .. عيد الأضحى المبارك والذى تقدم فيه الأضاحى سنة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام فداء لإسماعيل عليه السلام والذى يختم به الحاج أعماله .. بالرمى ثم الذبح ثم الحلق ثم الطواف بالبيت حتى أيام التشريق .. ويعود إلى أهله عوداً حميداً.. بحج مبرور .. وذنب مغفور .. وسعى مشكور.. ونور على نور.. ونفحات تدور..

(*) وهذه نفحة «يوم الجمعة» خير يوم طلعت عليه الشمس .. فهو سيد الأيام .. وأعظمها عند الله .. وهو أعظم عند الله من يوم الفطر .. ويوم الأضحى .. فيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم .. وأهبط فيه آدم إلى الأرض .. وفيه توفى آدم .. وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه .. ما لم يسأل حراماً .. وفيه تقوم الساعة .. وما من ملك مقرب ولا سماء، ولا أرض ، ولا رياح ، ولا جبال، ولا شجر ، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة ».

فتعرض لهذه النفحات .. كلما أهلت عليك تباشيرها .. وطافت عليك نسائمها .. فلعلك تظفر بشيء منها.. لا تشقى بعده أبداً .. ولعلك تنال منها قطفاً .. يبقى معك أريجه وشذاه ..إلى يوم أن تلقاه .. إلى يوم الدين ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تاج الدين نوفل

إهداء

«إن لكم فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها».

(*) إلى الذين فاتهم ما فات..

من الخيرات والحسنات..

ومضى بهم قطار العمر ..

وتسربت منهم السنوات ..

ويريدون أن يلحقوا بالركب .. ليعوضوا ما فات..

أقدم لهم هذه النفحات ..

***

(*) إلى من تكاسل عن العبادات..

أو تغافل عن الصلوات ..

أو توانى عن القربات..

أو انشغل بحب الدنيا .. عن الأعمال الصالحات..

وانشغل بحب الذات .. عن الأذكار والآيات..

ثم فجأة .. نظر فى المرآة .. فرأى الشيب قد غزا رأسه .. فأدرك أن الوقت قد فات..

أقدم هذه النفحات..

***

(*) إلى الذين كثرت عليهم الزلات ..

وأحاطت بهم السيئات..

ونالت منهم الأزمات ..

وضاقت عليهم الأرض والسموات ..

ولا يجدون ملجأ أو مغارات ..

ويريدون أن يبدل الله سيئاتهم حسنات ..

أقدم لهم هذه النفحات..

* * *

(*) إلى من أراد أن يختصر المسافات..

ويبلغ الفردوس فى خطوات..

ويصل إلى رضا الله فى لحظات..

ويصبح من أهل البركات والتجليات..

وتظهر على يديه الكرامات..

أقدم هذه النفحات..

* * *

(*) إلى من أراد أن يبلغ أعظم الدرجات ..

ويرفل فى روضات الجنات .

مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والأولياء ..

والمؤمنين والمؤمنات ..

الذين أجرى الله على أيديهم المعجزات..

أقدم هذه النفحات..

* * *

الهجـــرة

« لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية »

حديث شريف

الهجـــرة

يقول الله تعالى :

(*) ﴿إلاَّ تنصُرُوهُ فقَدْ نصَرَهُ اللَّهُ إذْ أخْرَجَهُ الَّذينَ كفرُوا ثانى اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فى الْغَارِ إذْ يقُولُ لصَاحبِه لا تحْزَنْ إنَّ اللَّهَ معَنَا فأنزلَ اللَّهُ سكينتَهُ علَيْه وأيَّدهُ بجُنُودٍ لَّمْ ترَوْهَا وجَعَلَ كلمَةَ الَّذينَ كفَرُوا السُّفْلَىٰ وكَلمَةُ اللَّه هيَ الْعُلْيا واللَّهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴾[1]

ويقول جل وعلا :

(*)﴿ومَن يُهَاجرْ فى سبيلِ اللَّه يجدْ فى الأرْضِ مُرَاغمًا كثيرًا وسعَةً﴾[2].

ويقول سبحانه :

(*)﴿ وقَالَ إنِّى مُهَاجرٌ إلَىٰ ربِّى إنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ ﴾[3]

(*) ﴿ ومَن يَخْرُجْ منْ بيْته مُهاجرًا إلَى اللَّه ورَسُوله ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فقَدْ وقَعَ أجْرُهُ علَى اللَّه وكَانَ اللَّهُ غفُورًا رَّحيمًا﴾[4].

ويقول الهادى البشير ﷺ:

(*) «لا تنقطـع الهجرة حتى تـنقطع التوبة .. ولا تـنقطع التوبـة حتى تطلع الـشمس من مغربها»[5].

(*) «ستكون هجرة بعد هجرة .. فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم »[6].

(*) «أريت دار هجرتكم بسبخة ذات نخل بين لابتين»[7].

(*) «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»[8].

(*) «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»[9].

---

(١) سورة التوبة آية (٤٠).
(٢) سورة النساء آية (١٠٠).
(٣) سورة العنكبوت آية (٢٦).
(٤) سورة النساء آية (١٠٠).
(٥) زاد المعاد جـ٢ ص٧٠.
(٦) زاد المعاد جـ٢ ص ٧٠ .
(٧) زاد المعاد جـ٢ ص٥٥.
(٨) رواه البخارى .
(٩) رواه البخارى .

أبواب الهجرة

للهجرة عشرة أبواب	أولها خوف الوهاب
فالتقوى هى زاد يبقى	والهجرة هى أسمى باب
خير يأتى بعد عناء	ونعيم من بعد عذاب
وبناء من بعد دمار	وعمار من بعد خراب
فالهجرة نور منبثق	يخرج من ماء وتراب
والهجرة فى عمر الدنيا	بشابة ريعان شباب
والهجرة خوف ورجاء	لتنال رضاء التواب
والهجرة بدء استنفار	وهى نهاية الاستقطاب
والهجرة ميلاد حياة	وحياة لأولى الألباب
والهجرة حكم ديني	ونهاية حكم الأحزاب
والحرب على كل دخيل	وقتال جميع الأعراب
وثواب من عند المولى	ولدى المولى خير ثواب[2]

وكان من دعاء النبى ﷺ فى دار الهجرة المباركة والصحابة يرددون خلفه:

لا عيش إلا عيش الآخرة.. اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة.

---

(١) من شعر المؤلف .

أول عيد ميلاد

وجـاءت هـجـرة الـهـادى	لـيـثـرب ذات أبـعـاد
فـقـد كـانـت لـهـذا الـديـن	أول عـيـد مـيـلاد
وإيمـانـاً وتـوحـيـداً	بـلا كـفـر وإلحـاد
وإصـلاحـاً لمـا يـجـري	بمـكـة بـعـد إفـسـاد
وتـغـيـيـراً لمـا يـجـرى	بـبـكـة زهـرة الـوادى
لأجـل الـهـجـرة الـكـبـرى	ونـور الخـالـق الـهـادى
جـنـى الـتـعـذيـب والإيـذاء	آبـائـى وأجـدادى[1]

ولما اشتد إيذاء الكفاروالمشركين للنبى ﷺ وأصحابه.. وضاقت مكة بالمسلمين ذرعاً .. واشتد التعذيب والهوان على المسلمين فى كل مكان من أرض مكة .. كان لابد من البحث عن أرض أخرى للدعوة .. بعد عشرة أعوام من الصراع المرير بين الحق والباطل .. فبدأ المصطفى ﷺ بالطائف فخرج يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه .. فسخروا منه وأغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويقذفونه بالحجارة حتى سال دمه الشريف.. ولم يجد المصطفى ﷺ بابًا يلجأ إليه إلا باب الله تعالى .. بعد أن أغلقت كل الأبواب فى وجهه حتى أبواب عشيرته الأقربين .. فرفع بصره إلى السماء فى خشوع وجلال وضراعة:

اللهم إليك أشكو ضعف قوتى .. وقلة حيلتى.. وهوانى على الناس .. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى.. إلى من تكلنى .. إلى بعيد يتجهمنى .. أم إلى عدو ملكته أمرى .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات .. وأضاءت له الأرض والسموات .. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.. يا واسع المغفرة .. من أن ينزل بى غضبك .. أو أن يحل على سخطك .. لك العتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إلـى مـن ألجـأ	ومـالـى مـلـجـأ
فـى الـكـون كـلـه	وأنـت المـنـشـأ
إلـيـك المـنـتـهـى	ومـنـك المـبـدأ[1]

---

(١) من شعر المؤلف .

هجرة الرسول ﷺ وأبى بكر (رضى الله عنه)

هذا .. ولما أراد أبـو بكر أن يهـاجر من مكـة إلى المدينـة ذهب إلى النـبى ﷺ يستـأذنه فى الهجرة فقال له النبى ﷺ : يا أبا بكر انتظر .. لعل الله يجعل لك صاحباً ، وصدق رسول الله ﷺ فقد كان صاحبه فى الهجرة .. وكانا ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾(١).

ولما هاجر الرسول ﷺ وصاحبه أبو بكر .. واقتربا من الغار .. بعيداً عـن أعين المشركين والكفار .. وأراد النبى ﷺ أن يـدخل الغار .. أمهله أبو بكر .. حتى يدخـل هو أولاً ليؤمنه له من الخطر .. حتى لا تخرج حية أو عقرب .. فتؤذى رسول الله ﷺ ودخل أبو بكر إلى الغار ونزع أحـد ثوبيـه وقطعـه قطعـاً صغيـرة .. وسد بهـا كل شقـوق الغار وثـغراته إلا ثـغرة واحدة.. لم يجد لها أبو بكر ما يسدها به .. فوضع قدمه عليها حتى لا يخرج منها ما يؤذى النبى ﷺ ودخل النبى ﷺ إلى الغار.. متعباً مجهداً من عناء الرحلة .. ومن وعثاء السفر .. ومطاردة المشركين له .. فنام ﷺ واضعاً رأسه على رجل أبى بكر رضى الله عنه وإذا بحية تخرج وتلدغ أبا بكر فى قدمه.. ويتألم أبو بكر .. ويتحامل على نفسه .. فلا يتحرك حتى لا يقلق مضجع النبى ﷺ ويشتد الألم على أبى بـكر .. وتنهمر دموعه. فتطاير دمعة على وجه النبى ﷺ فيسـتيقظ الرسول ﷺ ويقول له : ما يبـكيك يا أبا بكر .. فيقول أبو بـكر : لدغتنى حية يا رسول اللـه .. فيأخذ النبى ﷺ من ريقه الـشريف ويمسح على قدم أبى بـكر فيذهب الألم ويبرأ ممـا يعانى .. ويقوم النـبى ﷺ ويصلى ويتضرع إلـى الله تعالى ويدعـو لأبى بكر : «اللهـم إنى راض عن أبى بـكر .. اللهـم فارض عنه .. اللـهم اجعلـه فى درجتى .. الـلهم اجعله رفيقى فى الجنة»!!

عندئذ يجتمع المشركون والكفار على باب الغار.. وينتاب أبا بكر الخوف على رسول الله ﷺ فيقول له النبى ﷺ يـا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا .. فيقول يا رسـول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا .. فيقول الرسول ﷺ : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما..

فلقد كـان الكفار ينظرون إلـى النبى ﷺ ولكن لا يرونـه .. ويرقبونه ولكن لا يـبصرونه..

---

(١) سورة التوبة آية (٤٠).

فقد أغشى الله عيونهم .. ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[1] ويخرج النبى ﷺ وصاحبه من الغار سالمين غانمين .. ويواصلان رحلتهما المباركة .. وقد نصره الله وإن خذله الناس ..

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] وترك النبى ﷺ أهله وعشيرته .. وودع وطنه ومغانى صباه.. والقلب يخفق فى جنبيه .. والدموع تترقرق فى عينيه... وجبريل ينزل عليه .. بالوحى من الله .. يعده بأن يعيده إلى مكة عما قريب .. سالماً غانماً .. ظافراً ومنتصراً وفاتحاً .. ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[3] ويرسل النبى ﷺ دمعة يودع بها مكة من بعيد .. وهو يقول :

والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله .. وأحب بلاد الله إلىَّ.. ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت ..

الأهـــل والأوطـــان	فـراقـهـم صـعـب[4]
لـكـنـه الإيمـان	فـداؤه الـقـلـب
والـروح والأبـدان	فـلـيـقـبـل الـرب

فليقبل الرب

فـهـنـالـك الأحـبـاب	وهـنـالـك الحـب
اسـتـقـبـلـوا الأصـحـاب	وتـقـدم الـركـب
سـلـمـان دق الـبـاب	وبـلال وصـهـيـب
كـى يـبـلـغـوا الأسـبـاب	فـلـيـقـبـل الـرب

فليقبل الرب

(1) سورة الأعراف آية (١٩٨).
(2) سورة التوبة آية (٤٠).
(3) سورة القصص آية (٨٥).
(4) من شعر المؤلف .

ذكــرى

أنــا مـا ذكــرتــك يــا عـمـر — إلا ودمــعـى يــنــهــمــر
ويــحــيـطـنـى بـرد الحـسـوم — كــأنــنـــى تحـت المـطــر
وتـغـيـب روحى فـى الـهـوى — وجـمـيـع جسمى يـقـشـعـر
بــشــر مــلاك أنـت يــا — مــولاى أم مـلــك بــشــر
هــاجـرت لــلــه الــعـظـيـم — وكــنــت أول مــن جــهــر

هجرة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

فعندما هاجر عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) من مكة إلى المدينة .. لم يهاجر مثل ما هاجر المسلمون سراً.. كلا .. وإنما هاجر نهاراً جهاراً .. لم يخش المشركين ولا الكفار..

يقول على كرم الله وجهه : لم أعلم أن أحداً هاجر من مكة إلى المدينة إلا متخفيًا .. إلا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فإنه عندما هم بالهجرة.. تقلد سيفه.. وتنكب قوسه .. وأتى الكعبة والملأ من صناديد قريش حولها.. فطاف بالبيت سبعاً .. ثم أتى المقام فصلى .. ثم صعد إلى أعلى ..وصاح بأعلى صوته .. وصوته يجلجل فى كل مكان .. ويدوى فى سمع الزمان : شاهت الوجوه .. من أراد أن تثكله أمه.. أو ييتم ولده .. أو ترمل زوجته .. فليتبعنى خلف الوادى .. فإنى مهاجر إلى الله ورسوله.. فلم يتحرك أحد من قريش .. ولم يرفع أحد رأسه.. ولم يفغر أحد فاه.. وكأن على رءوسهم الطير..

مثل الشمس

لــم يــخــرج مــن مــكــة ســراً — لا بــل عــلــنــاً مــثــل الــشــمــس
وقــف بمــكــة يــهــتــف جــهــراً — فــى وجــه الجــنــة والإنــس
مــن يــبــغــى أن يــقــتــل عــمــداً — أو يــفــقــد فــى ســاعــة نــحــس
أن تــثــكــلــه أم تحــنــو — أو يــتــوارى تحت الــرمــس
أو يــرجــع لــبــنــيــه قــتــيــلاً — مــفــصــول الجــســد عــن الــرأس
فــلــيــتــبــعــنــى خــلــف الــوادى — لألــقــنــه أعــظــم درس
إنــى هــاجــرت وأعــلــنــت — الإيمــان عــلــى مــلأ الإنــس
لا أخــشــى فــى الحــق الــلــوم — ولــن يمــنــعــنى عــبــد الــشــمــس
وقــف الــنــاس جــمــيــعــا خــرســاً — دحــر الــكــفــر بــقــوم خــرس

فـأمــام الـقــوة يـتــوارى أهــل الـتـبـعـيـة والـدس
كـى يـعلـو علـم الـتـوحيـد يـرفـرف بـالـكـعـبـة والـقـدس(*)

إنه عمر بن الخطاب الذى فرق الله به بين الحق والباطل .. والذى قال فيه رسول الله ﷺ:

* لو أن نبياً بعدى لكان عمر ..

* لو نزل عذاب من السماء .. ما نجا إلا عمر ..

* أنت سراج أهل الجنة يا عمر ..

* الشيطان يفر منك يا عمر .. ما سلكت طريقاً .. إلا وسلك الشيطان طريقاً غيره..

* الحق على قلب عمر ولسانه..

فلقد كان يخشى الله خشية من يعتقد أن النار لم تخلق إلا له .. فكان يقول : لو نادى مناد الله يوم القيامة: كل الناس يدخلون الجنة إلا رجلاً واحداً لظننت نفسى ذلك الرجل ..

هذا .. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة !!

وعندما طعن - رضى الله عنه- ووقع على الأرض .. وهو ينزف دمه .. ويحتضر .. وجاء الطبيب وأمر له بلبن .. فشرب فخرج اللبن مع الدم ..فقال الطبيب : أوص يا أمير المؤمنين..

وأسرع ابنه عبد الله وأتى بحجر وضعه تحت رأسه .. فلما أفاق - رضى الله عنه - قال له: ثكلتك أمك .. ضع رأسى على الأرض واجعل خدى على التراب .. قال: لماذا يا أبت؟.. قال : لعل الله ينظر إلىّ وأنا فى هذه الذلة فيغفر لى .. فقال ابن عباس - رضى الله عنهما - لم كل هذا الخوف يا أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح .. ومصر الأمصار .. وفعل وفعل ؟! فيقول عمر - رضى الله عنه - وددت لو أنجو لا لى ولا على - فيقولون : يا أمير المؤمنين .. والله إن السماء تتزين الآن لاستقبالك والجنة تتزين لك فيقول - رضى الله عنه - : والله إن المغرور من غررتموه .. خذوا كل فتوحاتى.. وكل أعمالى وأعطونى ليلة من ليالى أبى بكر .. ويوماً من أيامه !! قالوا : وما تلك الليلة.. وما هذا اليوم ؟ قال: أما الليلة: إذ

(*) من شعر المؤلف .. لآلئ ودرر من عدالة عمر .

هما فى الغار .. إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .. وأما اليوم .. فهو يوم الردة.. يوم وقف أبو بكر - رضى الله عنه- فى وجه المرتدين دفاعاً عن الإسلام والمسلمين..

وظل عمر يبكى وهو يحتضر ويقول : يا ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر .. يا ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر .. ليت أمك لم تلدك يا عمر .. ليت أمى لم تلدنى .. ليتنى لم أك شيئاً..

بشر ملاك أم ملاك من بشر … يجتاز بالنور الكواكب والقمر(*)
العدل أنت سطعت من عليائه … فوق الدجى لم تبق منه ولم تذر
ونطقت بالآيات قبل نزولها … فبعثت فى الدنيا ملائكة البشر
وكفاك قول المصطفى لوحل … بالدنيا عذاب مانجا إلا عمر

هجرة الكواكب

قمر وشمس أم عقود كواكب … أم من تسير على التراب ككوكب
أم من تهاجر كالبلابل فى السما … حتى ترفرف فى ثنايا يشرب
أم من تهادى نجمها فى هجرة … أم من تكون كزينب بنت النبي
أولى قوارير الحبيب المصطفى … وسليلة البيت الشريف الطيب

* * *

فاسبح ببحر النور فى صلواتها … واسق الحيارى من سناها واشرب
فهى اختيار الصالحين وخيرهم … ومآلهم والمجتبى والمجتبى
وهى النعيم لكل صاحب نعمة … والراحة الكبرى لكل معذب
وهى السعادة عند كل شقاوة … وهى النعيم لكل قلب متعب
وهى البداية عند كل مقرب … وهى النهاية عند كل منسب

* * *

قمر وشمس أم عقود كواكب … أم من تسير على التراب ككوكب
أم من تهادى نجمها فى هجرة … أم من تكون كزينب بنت النبي

(*) من شعر المؤلف.

أهل النــور

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

(*) ويقول الهادى البشير ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»(٢).

(*) «المدينة قبة الإسلام، ودار الإيمان.. وأرض الهجرة.. ومثوى الحلال والحرام»(٣).

(*) وعن عمر (رضى الله عنه) قال: غلا السعر بالمدينة فاشتد الجهد.. فقال رسول الله ﷺ: اصبروا وأبشروا.. فإنى قد باركت على صاعكم ومدكم.. كلوا ولا تتفرقوا.. فإن طعام الواحد يكفى الاثنين، وطعام الاثنين يكفى الأربعة.. وطعام الأربعة يكفى الخمسة والستة، وإن البركة فى الجماعة.. من صبر على لأوائها وشدتها، كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة، ومن خرج عنها رغبة عما فيها أبدل الله به من هو خير منه فيها، ومن أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء»(٤).

(*) «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة.. فليمت.. فإنه من مات بها كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة»(٥).

ولهذا سأل عمر (رضى الله عنه) ربه أن يموت بالمدينة. فقد روى البخارى عن زيد بن أسلم عن أبيه.. أن عمر.. قال: «اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك.. واجعل موتى فى حرم رسولك ﷺ».

أولياء الله

يقول الهادى البشير ﷺ: «إن لله عبادًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله.. قلنا يارسول الله.. تخبرنا من هم وما أعمالهم.. فلعلنا نحبهم؟ قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الحشر آية ٩.
(٢) رواه أحمد وغيره.
(٣) رواه البزار.
(٤) رواه الطبرانى. عن أبى هريرة (رضى الله عنه).
(٥) رواه الطبرانى عن امرأة من ثقيف.. كانت عند رسول الله ﷺ.

هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها.. فوالله إن وجوههم لنور.. وإنهم لعلى منابر من نور.. لا يخافون إذا خاف الناس.. ولا يحزنون إذا حزن الناس.. ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

أول خطبة

هذا..!

ولقد كانت أول خطبة ألقاها رسول الله ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة.. خمس كلمات.. بل خمس جواهر:

«أيها الناس: أفشوا السلام.. وألينوا الكلام.. وأطعموا الطعام.. وصلوا الأرحام.. وصلوا بالليل والناس نيام.. تدخلوا الجنة بسلام»(٢).

ويقول ﷺ: «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا.. ولا تؤمنوا حتى تحابوا.. أولا أدلكم على شيء.. إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»(٣).

ويقول ﷺ: «ثلاث يحفظن لك الود فى صدر أخيك:

(*) أن تبدأه بالسلام.

(*) وأن تفسح له فى المجلس.

(*) وأن تناديه بأحب الأسماء إليه»(٤).

ثلاثيات مباركات

وكان الرسول المعصوم ﷺ قد جلس بين أصحابه.. كالقمر بين النجوم.. فى جلسة نوارنية.. أراد بها أن يأخذ بأيدى هؤلاء الأبرار.. وأولئك الأخيار.. إلى معارج الأسرار.. ومدارج الأنوار.. فى تربية نبوية مباركة.

فنظر إلى أبى بكر الصديق (رضى الله عنه).. وقال له: أتحب من الدنيا شيئًا يا أبابكر؟

---

(١) رواه مسلم وغيره. (٢) متفق عليه.
(٣) رواه أحمد وغيره. (٤) رواه الترمذى.

قال: نعم ياحبيبى يارسول الله.. أحب لأجلك ثلاثًا.. قال وما هى يا أبابكر؟.. قال أبوبكر: جلوسى بين يديك.. ومداومة نظرى إليك.. وإنفاق مالى عليك».

ثم نظر النبى ﷺ إلى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وقال له: وأنت ياعمر.. أتحب من الدنيا شيئًا..؟

قال عمر (رضى الله عنه): أحب لأجلك ثلاثًا أيضًا يارسول الله..

قال: وما هى ياعمر؟

قال عمر: «أمر بمعروف ولو كان سرًا.. ونهى عن منكر ولو كان جهرًا.. وقول الحق ولو كان مرًا».

ثم نظر النبى ﷺ إلى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وقال له: وأنت ياعثمان أتحب من الدنيا شيئًا..؟

قال عثمان (رضى الله عنه): نعم ياحبيبى يارسول الله.. أحب لأجلك ثلاثًا أيضًا..

قال: وما هى ياعثمان؟

قال عثمان: «إفشاء السلام.. وإطعام الطعام.. وركعات بالليل والناس نيام».

ثم نظر النبى ﷺ إلى على (كرم الله وجهه) وقال له: وأنت ياعلى.. أتحب من الدنيا شيئا؟

قال: نعم يا حبيبى يارسول الله.. أحب لأجلك ثلاثًا أيضًا..

قال وما هى ياعلى؟

قال علىّ: «إكرام الضيف.. والصيام فى الصيف.. وضرب أعناق المشركين بالسيف».

ثم نظر النبى ﷺ إليهم وقال لهم: وأنا أحب ثلاثًا أيضًا.. فلقد حبب إلىّ من دنياكم ثلاث: «الطيب.. والنساء.. وجعلت قرة عينى فى الصلاة».

ثم نزل جبريل عليه السلام على النبى ﷺ وقال له: الله يقرؤك السلام.. ويقرؤ أصحابك السلام.. ويخبرك أنه يحب ثلاثًا أيضًا.

قال: وما هى يا أخى ياجبريل؟

قال جبريل عليه السلام: «لسان ذاكر.. وقلب شاكر.. وجسد على البلاء صابر».

وقال جبريل عليه السلام: وأنا أحب ثلاثًا أيضًا:

قال: وما هى يا أخى ياجبريل؟

قال: «تبليغ الرسالة.. وأداء الأمانة.. والمساكين..».

وعندما علم الأئمة الأربعة بهذه الثلاثيات المباركات..

قال الإمام أبوحنيفة (رضى الله عنه).

وأنا أحب ثلاثًا أيضًا.. قيل وما هى يا إمام؟ قال: «تحصيل العلم فى طول الليالى.. وترك الترفع والتعالى.. وقلب من حب الدنيا خالى».

وقال الإمام مالك (رضى الله عنه):

وأنا أحب ثلاثًا أيضًا.. قيل وما هى يا إمام؟ قال: «مجاورة النبى فى روضته ﷺ وملازمة النبى فى سُنته ﷺ.. واحترام النبى فى عترته ﷺ».

وقال الإمام الشافعى (رضى الله عنه): «وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا أيضًا.. قيل وما هى يا إمام؟ قال: «عشرة الخلق بالتلطف.. وترك ما يؤدى إلى التكلف.. والاقتداء بطريق التصوف».

ثم قال الإمام أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) وأنا أحب ثلاثًا أيضًا.. قيل وما هى يا إمام؟ قال: «متابعة النبى فى أخباره.. والتبرك بأنواره.. والسلوك فى طريق آثاره».

أجمل زهرة فى الدنيا

هذا..

وإذا أحب الله تعالى عبداً.. نادى جبريل.. فقال: ياجبريل.. إنى أحب فلانًا فأحبه.. فيحبه جبريل.. ثم ينادى جبريل عليه السلام.. فى الملأ الأعلى: يا أهل السماء.. إن الله تعالى يحب فلانًا فأحبوه.. فيحبه أهل السماء.. ثم يوضع له القبول فى الأرض.

الحب شريف مصحفه | من كان عفيفًا يعرفه
يرقى ما يرقى منزلة | لا يعرف حدًا يوقفه
فإذا ما طالع سدرته | يصل إلى الله أشرفه(*)

«والذين آمنوا أشد حبًا لله»(1).

فالحب أجمل زهرة فى الدنيا.. وأجمل وردة فى الوجود.. والحب نعمة وليس نقمة

(*) من شعر المؤلف.

(1) سورة البقرة آية ١٦٥.

والحب طاعة وليس معصية.. والحب ثواب وليس عقابًا.. والحب حسنات وليس سيئات. والحب صدقة وليس نفقة:

أستغفر الله إلا من محبتكم ... فإنها حسناتى يوم ألقاه
فإن زعمت بأن الحب معصية ... فالحب أجمل ما يعصى به الله

«والذين آمنوا أشد حبًا لله».

وقد ورد أن رجلاً زار أخًا له فى الله فى قرية مجاورة.. على غير منفعة بينهما ولامصلحة.. غير أنه أحبه فى الله.. وزاره فى الله.. ليس إلا لله.. فغفر الله له وأدخله الجنة.

وصدق رسول الله ﷺ: إن لله عبادًا ما هم بأنبياء ولا شهداء.. يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة. لمكانهم من الله.. قلنا: يارسول الله تخبرنا من هم.. وما أعمالهم.. فلعلنا نحبهم؟

قال ﷺ: هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها.. فوالله إن وجوههم لنور.. وإنهم لعلى منابر من نور. لا يخافون إذا خاف الناس.. ولا يحزنون إذا حزن الناس.. ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١)

ويقول جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢)

زينب الكبرى (رضى الله عنها)

أولى بنات المصطفى ﷺ وأول زهرة تفتحت فى بيت النبى ﷺ وأول من رأت عينا الرسول ﷺ وخلاصة الطهر والنقاء.. وزهرة شبابه.. وقرة عين خديجة (رضى الله عنها) سيدة نساء العالمين.. وزوج العاص بن الربيع.. فرق الإسلام بينها وبين زوجها. الذى لم يسلم. وعادت إلى أبيها مهاجرة.. ولاقت الأذى والعذاب فى هجرتها.. وظلت تدعو الله وتتضرع إليه.. أن يشرح صدر زوجها إلى الإسلام.. حتى استجاب الله دعاءها.. وعاد إليها

(١) سورة يونس آية ٦٢ - ٦٤

(٢) سورة الحشر آية ٩

الربيع مسلمًا.. وعادت السعادة إلى البيت الطاهر.. والتأم الشمل.. وأشرقت الشمس من جديد.. وطلع البدر على البيت السعيد.. وإن شئت المزيد:

فلقد كانت حياة زينب (رضى الله عنها) تجرى رتيبة هادئة.. زوجها العاص بن الربيع ابن خالتها.. ثم تؤمن هى بالإسلام.. ويبقى هو على دين قومه.

ويحاول أهله معه أن يطلقها.. فيأبى.. ويعرضون عليه من يشاء من بنات قريش.. فلا يعدل بزينب أحدًا..

ويهاجر البيت النبوى.. وتبقى هى وزوجها بمكة.. ولنا أن نتصور هذه الوحدة التى خفف منها جنين تحمله زينب وهنًا على وهن.

وتأتى غزوة بدر فى العام الثانى للهجرة. ويخرج زوجها فى صفوف قريش مقاتلاً ضد المسلمين.. الذين يقودهم رسول الله ﷺ.

وما شعور أبى العاص بن الربيع.. وما شعور زينب.. وماشعور الرسول الأعظم ﷺ والمحاربين معه.. حين يجدون زوج بنت الرسول ﷺ فى صفوف الأعداء؟

وتنتهى المعركة وأبوالعاص بين الأسرى.

وتبعث زينب بفدائه..

وما الفداء؟

إنه عقد أمها خديجة (رضى الله عنها)..

أيعرض العقد الغالى بين الغنائم.. بعد أن كان حلية جيد أم المؤمنين الأولى.. التى ما عدل بها الرسول ﷺ أحدًا.. والتى بذلت كل ما تملك من صحة ومال فى سبيل الله؟

وينظر الرسول ﷺ والذين معه إلى العقد.. وتهيج فى نفسه الذكرى العطرة.. ويخاطب أصحابه قائلاً: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها.. وتردوا عليها مالها فافعلوا».. ويذكرون خديجة أمهم الأولى.. ويعيدون العقد والأسير إلى زينب.. ولكن:

يكلف الرسول ﷺ أبا العاص أن يبعث إليه بزينب.. فقد نزلت آية التحريم.. ولم تعد زينب تحل له من بعد أن ظل على دين قومه..

ويعود أبوالعاص إلى مكة.. ليبعث بزينب.. وهى حبلى إلى أبيها فى المدينة.. ولكن.. هل تترك مكة زينب تخرج إلى أبيها بعد أن شهد ميدان بدر من شهد من قتلى قريش؟

أتعود زينب بنت محمد ﷺ إلى أبيها.. وفى مكة من فيها من الأرامل واليتامى والثارات؟

لقد نسى القوم عدوانهم القاسى على الرسول ﷺ والذين معه.. ولم يعودوا يذكرون إلا ظعينة مسلمة عائدة إلى أبيها رسول الإسلام ﷺ.

لم يذكروا ألم فراقها عن زوجها.. ولا ألم الحمل وطول السفر.. فليخرجوا بأضغانهم لإيذاء زينب وهى بطريق الهجرة.. وكان أبوالعاص قد كلف كنانة ابن الربيع بمرافقة زوجته.. ويفاجأ كنانة بالغدر مجسمًا يعترض طريقه.. وتمتد يد «هبار بن الأسود» يروعها بالرمح.. وهو يذكر أخوة له ثلاثة صرعهم المسلمون فى بدر.. وتسقط زينب من على ظهر بعيرها على صخرة ينزف دمها.. وينثر كنانة سهامه.. ويتهيأ للدفاع عنها.. قائلاً: «والله لا يدنو رجل إلا وضعت فيه سهمًا».

وتعود إلى البيت مريضة قد طرحت جنينها.

وتمضى فى مكة أيامًا تعود إليها فيها بعض عافيتها.. ويصحبها كنانة على الطريق حتى يسلمها إلى زيد بن حارثة.. لتتابع الرحلة إلى المدينة.. تاركة وراءها زوجها أبا العاص.. على الحب والوفاء.. حاملة معها صغيريها عليًا وأمامة

وفى المدينة تأبى زينب أن تتزوج. وفى مكة يأبى أبوالعاص أن يتزوج.. وتمضى بعد هذا سنوات حتى يلتئم شمل الأسرة بعد أن صادر المسلمون فى العام السادس للهجرة قافلة لأبى العاصى بن الربيع.. فترك القافلة.. وسارع باللجوء إلى المدينة.. فأجارته زينب.. وقدمته إلى أبيها.. ورد له تجارته بموافقة المسلمين. فأعادها إلى أصحابها بمكة.. وهناك فى مكة: أعلن إسلامه بعد أن أبرأ ذمته.. ثم لحق بالمدينة المنورة إلى الرسول ﷺ وأهله(1).

قصة لاتزال ترددها الأجيال.. فيها حياة أسرة قامت على الحب.. وكان الإيمان فيها عامل تفريق وتجميع.. حتى التقى الحب والإيمان فى ختام المطاف.. ونجد فيها تفاعل الأسرة مع المجتمع كأشد ما يكون التفاعل والدور الايجابى البناء.. الذى قام به كل من أبى العاص وزينب حتى التئم الشمل.

ثم تودع زينب دنيانا إلى جوار ربها فى مطلع العام الثامن للهجرة.. وقد وسدها التراب رسول الله ﷺ وقال: «كنت قد ذكرت زينب وضعفها.. فسألت الله أن يخفف عنها ضيق القبر وغمه ففعل.. وهون عليها..».

زينب (رضى الله عنها)(*)

قمر وشمس أم عقود كواكب	أم من تسير على التراب ككوكب
أم من تهاجر كالبلابل فى السما	حتى ترفرف فى ثنايا يثرب
أم من تهاوى نجمها فى هجرة	أم من تكون كزينب بنت النبى

* * *

(1) سيرة ابن هشام ٢: ٤٧٧: ٤٨٣.

(*) من شعر المؤلف

أولى قوارير الحبيب المصطفى   وسليلة البيت الشريف الطيب
قد توجت زهر الربيع بحسنها   وأتى بها يوم الزفاف بموكب
كانت محبتها له نوراً يضىء   له طريق الخير وسط الغيهب
وضعت له نوراً بزى أمامة   يزهى به فى مشرق أو مغرب
وسما علىٌّ بالسماحة والندى   فطوى المكارم بالحلال الطيب
لكنما الإسلام جاء بدعوة   هزت بقاع العالم المتقلب
خرج الرسول مهاجراً فى ربه   من مكة خير البلاد ليثرب
أمر الرسول بهجر مكة كلها   لمدينة النور البهيج الكوكبى
لكن زينب بنته ظلت بمكة   فى رعاية زوجها لم تذهب

* * *

أسروه فى بدر فكان فداؤه   عقداً لأم المؤمنين من النبى
خلعته زينب يومها من جيدها   قالت خذوه وأرسلوه إلى أبى
فلعله يعفو ويصفح عن ربيع   إنه زوجى الحبيب وصاحبى
فإذا رآه المصطفى صمت الورى   واهتاجت الذكرى بدمع مسهب
فعفا رسول الله عنه على الملا   بين الصحابة فى جلال الموكب

* * *

حتى أتى شرع السماء إلى النبى   مفرقاً بين الربيع وزينب
لتعود زينب للحبيب المصطفى   وتودع العاصى بقلب ذائب
فى يثرب تأبى الزواج محبة   ولقد أتاها خير سادة يثرب
وترى الربيع على الوفاء بمكة   يأبى الزواج محبة فى زينب

* * *

حتى أتى الايمان بجمع شملهم   ليعود للبيت ابتسام الغائب
فأتى المدينة مشهراً إسلامه   والله يعلم ماله من مأرب
قد جاء محتسبًا لوجه الله فيه   يريد رحمته ومرضاة النبى
فأضاء وجه المصطفى وأعاد زينب   للربيع فيا سعادة زينب

رقية (رضى الله عنها)

ذات الهجرتين

إنها الزهرة الثانية فى عقد الطهر والعفاف.. والنقاء والصفاء.. ابنة المصطفى ﷺ من خديجة رضى الله عنها.. هاجرت مرتين.. مرة إلى الحبشة.. ومرة إلى المدينة.. فكانت بذلك صاحبة الهجرتين.. وأول من هاجرت إلى الحبشة هى وزوجها عثمان بن عفان (رضى الله عنه).

فقد قال رسول الله ﷺ: «صحبهما الله.. إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد نبى الله لوط».. وقد تحملت المشقة والعناء من أجل هذا الدين.. هى وزوجها عثمان (رضى الله عنهما) مما لا يتحمله إنسان.. ولايصفه لسان.. ويكفيها وصفًا أنها صاحبة الهجرتين.. بكل ما فيهما من مصاعب وأخطار.. وفراق للأهل والأوطان.. ولكن قلبها دائمًا كان يقول مع لسانها:

الأهل والأوطان فراقهم صعب
لكنه الايمان فداؤه القلب
والروح والأبدان فليقبل الرب
فليقبل الرب

هجرتان

وإن شئت المزيد.. فقد تزوجت رقية وأم كلثوم ابنتا المصطفى ﷺ من عتبة وعتيبة ابنى أبى لهب.. وما كاد المصطفى ﷺ يتلقى رسالة ربه.. ويدعو إلى الدين الجديد.. حتى أخرجت رقية وأم كلثوم من بيت أبى لهب.. وردتا إلى بيت أبيهما محمد ﷺ.

وكانت قريش قد ائتمرت بالرسول ﷺ فى بناته قائلة: اشغلوا محمداً ببناته وطلقوهن ليزداد همه.. ومشوا إلى أزواج البنات الثلاث: زينب، ورقية، وأم كلثوم.

فأما أبوالعاص بن الربيع.. فأبى أن يطلق زينب.. وفضلها على نساء العالمين.

وأما عتبة وعتيبة.. فقد أقسمت أمهما (أم جميل) عدوة الله ورسوله (حمالة الحطب) ألا يظلهما وبنتى محمد ﷺ سقف واحد.. ولم تزل بزوجها أبى لهب.. حتى أثارت حفيظته. على البنتين البريئتين.. فقال لولديه:

«رأسى من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتى محمد»

وأراد المشركون من تطليق ابنتى محمد ﷺ من ابنى (حمالة الحطب) أن يشغلوه بطلاقهما عن دعوته إلى الله تعالى .. ولكن الله جل وعلا.. كان معه .. فأبدلهما زوجًا خيراً منهما .. من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام.. وأحد العشرة المبشرين بالجنة .. ذلك هو عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وهو من هو شرفاً وسؤدداً .. فتقدم إلى الرسول ﷺ يطلب يد رقية.. فزوجه المصطفى ﷺ ولم ير زوجان قط أجمل منهما ولا أبهى.

واشتد غيظ المشركين.. وتعجبوا لهؤلاء النفر الذين يتبعونه.. ويؤثرونه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم.. ولا يترددون فى افتدائه بالمهج والأرواح.. بل يرون الاستشهاد معه أو فى سبيله مجداً وانتصاراً .. واشتد تعذيب المشركين للمسلمين.. ولم يستطع المصطفى ﷺ أن يمنعهم وضاقت مكة بالمسلمين ذرعًا.. فقال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة.. فإن بها ملكًا لايظلم عنده أحد.. وهى أرض صدق.. حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه».

وتهاجر رقية مع زوجها عثمان بن عفان إلى أرض الحبشة.. هجرتها الأولى.. وتودع البلد الحبيب.. بما فيه من طيب.. وتودع الأب والأم والأخوات الثلاث.. والدموع تنهمر والقلوب تنفطر.. والركب ينتظر.. وتسكن الألسنة.. ولا تسمع إلا الهمس.. ثم ما تلبث أن تغيب الشمس.. ثم تشرق ثم تغيب رويدا رويدا حتى وصلوا إلى الحبشة.

ولم تضق الحبشة بهم ذرعًا.. بل أمنهم النجاشي وأحسن جوارهم.. وتركهم أحراراً.. يعبدون الله.. لا يخافون على ذلك أحداً.

وحاول المشركون أن يرسلوا إلى النجاشى فى طلبهم.. وبعثوا له بالهدايا.. فأبى النجاشى وقال لهم: هم آمنون فى أرضى.. من سبهم غرم.. وما أحب أن لى جبلاً من ذهب.. وأنى آذيت رجلاً منهم.

وتعانى رقية من ألم الغربة والمرض.. فقد أسقطت جنينها الأول حتى خيف عليها من فرط التعب والإعياء.

وبلغ المهاجرين فى الحبشة.. أن قريشًا قد هادنت المسلمين.. وأنها ثابت إلى رشدها.. لما

رأته من ثبات المصطفى ﷺ والذين معه.. ودخول طائفة ومنهم إلى الإسلام.. فتهيئوا إلى العودة إلى الوطن.

وعادت رقية (رضى الله عنها) وزوجها عثمان (رضى الله عنه) إلى مكة المكرمة لتفاجأ بموت أمها خديجة (رضى الله عنها) فتسقط على فراشها متهالكة جامدة مثلجة الأطراف.. زائغة البصر.. والحزن واللوعة يعتصرانها.. ولم تلبث إلا قليلا حتى اشتد العذاب والهوان على المسلمين فى مكة.. فيأمرها المصطفى ﷺ فتهاجر هى وزوجها عثمان (رضى الله عنهما) إلى المدينة.

وفى دار الهجرة.. تضع طفلها عبدالله بن عثمان (رضى الله عنه) وظنت أن طفلها عبدالله سينسيها مرارة جنينها الأول.. ولوعة مصابها فى أمها خديجة.. وماذاقته فى هجرتها من شجن ولوعة.. وحسبت أنها قد نالت حظها من الآلام.. ولكن الله تعالى امتحنها بموت طفلها الوحيد.. فمات عبدالله بنقرة ديك.. فترنحت رقية تحت وطأة الأسى والحزن صريعة الحمى..

ويقيم عثمان إلى جانب زوجته رقية يمرضها ويرعاها.. وهى تعالج سكرات الموت.. ويتخلف عن غزوة بدر.. رغمًا عنه.. حتى صعدت روحها إلى بارئها.. وقد أسبلت عينيها على طيف من زوجها المكلوم.. وغابت عن الوجود وقام عثمان فأغمض عينيها.. ولثم جبينها الطاهر.. وأناملها المباركة ـ ثم أصغى إلى هتاف البشرى بانتصار المسلمين فى بدر.

وجاء المصطفى ﷺ.. فدنا من ابنته الراقدة.. يودعها بادى الحزن والأسى.. ثم انثنى فى رفق نحو ابنته فاطمة الزهراء التى أكبت على مضجع أختها تبكى.. فجعل يمسح دموعها بطرف ثوبه.

وشيعت يثرب رقية بنت المصطفى ﷺ ذات الهجرتين.. حتى ووريت الثرى الطيب الذى ارتوى يومئذ بدماء الأبرار من شهداء بدر.

رقية[1]

ذات الهجرتين

يامرحباً بك يارقية   قد كنت للدنيا رقيا

لاغرو فى هذا فتلك   حقيقية تبدو جليا

دوت بسمع زماننا   حتى علت نجم الثريا

دوت فأخرجت الهداة   أما سمعت لها دويا

ورأيت جبارا شقيا   صار فى يوم وليا

ورأيت ذا عقل رشيد   كان مفتوناً غويا

خلعوا بها زى الضلال   ليرتدوا الإيمان زيا

ورأيت محتاجاً فقيرا   صار فى سعة غنيا

وسمعت صوتا قد أتاك   وكان إحساسًا خفيا

وشهدت وجهاً للجمال   وكان وجها عبقريا

هذا ضياء رقية   نشرته فى الدنيا نديا

قمر تحيط به النجوم   الزهر يطويهن طيا

هى ذات أعظم هجرتين   لدينها ليست لدنيا

كانت تهاجر كل يوم   هجرة وتقول هيّا

كانت ترى أن السياحة   تقتضى بلداً قصيا

بلداً بعيداً عن تخوم   الكفر لا بلداً عصيا

تخلو إلى الرحمن فيه   فلا ترى إلا خليا

تنسى لديه الكائنات   وفيه تحيا بل تحيا

---

(١) شعر المؤلف.

وتصوم عن عرض الحياة فتجتنى رطباً جنيا
فتذوب فى النجوى ضياء ساجياً يسمو عليا
زوج لذى النورين عثمان الذى يحيا رضيا
من تستحى منه الملائكة ان رأت منه المحيا
من كان ينشد فى الحياة فضيلة يحيا سويا
إن الحياة لدى رقية ساعة تمضى مضيا
فلتغتنم فيها المكارم ولتعش فيها تقيا
جاءت من الأرض البعيدة تبتغى النور السنيا
والظلم ظلماء بمكة ينجلى شيئا فشيا
والنور غايته الوصول لكى ترى بشراً سويا
جاءت لتذخر من خديجة أمها الحب الزكيا
قالوا لها ماتت فريعت وانطوت تبكى مليا
كانت تعيش حياتها للغير لاتبغى سميا
من ليس يملك أن يعيش لغيره هو ليس حيا
عاشت وماتت ثم عاشت بيننا مثلا وضيا
فعليك رضوان الإله ودمت للدنيا رقيا

أم كلثوم بنت عقبة

بلا مال ولا جاه مهاجرة إلى الله
مهاجرة بلا أمل سوى فى رحمة الله
ويحرسها إلى الهادى ملائكة من الله(*)

(*) من شعر المؤلف.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ..﴾(١).

ويقول الهادى البشير ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»(٢).

ويقول ﷺ : «لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»(٣).

ويقول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

ويقول ﷺ : «المؤمن من أمنه الناس على دينهم وأعراضهم ودمائهم وأموالهم.. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(٤).

ويقول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى.. فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها .. فهجرته إلى ما هاجر إليه.. ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله»(٥).

فى بيت بسيط طيب جلست أم كلثوم بنت عقبة (رضى الله عنها) تستمع إلى أخيها عمارة وهو يقص عليهم ما انتهى إليه الأمر مع رسول الله ﷺ فى صلح الحديبية.. فلقد استطاع المشركون أن يفرضوا شروطاً ظالمة على رسول الله ﷺ والذين معه: فمن جاء إلى المسلمين من المشركين مسلماً يرده المسلمون إلى المشركين.. ومن جاء إلى المشركين من المسلمين مرتداً كافراً لايرده المشركون إلى المسلمين.

سمعت أم كلثوم بنت عقبة ذلك فأخذت تفكر فى أمر كتمته فى نفسها لا يعلمه إلا الله تعالى.. فلقد أسلمت سراً وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وعزمت على الهجرة من مكة إلى المدينة.. واللحاق بالمسلمين فى دار الهجرة.. حتى تعيش معهم فى نور الإيمان.

ولكن سرعان ما تسلل الحزن إلى قلبها.. فها هى آمالها قد تحطمت على صخرة تلك الشروط الظالمة التى وقفت حائلاً بينها وبين آمالها.. فجلست فى حجرتها حزينة مكتئبة وأغلقت عليها.. وأخرجت صحيفة كانت معها.. تقرأ فيها بعض الآيات القرآنية.. فوقع بصرها على قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٦). فأحست بطاقة نور

(١) سورة الممتحنة آية ١٠.
(٢) رواه أحمد وغيره.
(٣) رواه مسلم وغيره.
(٤) رواه البخارى عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).
(٥) رواه البخارى
(٦) سورة الشرح آية ٥، ٦.

تملأ صدرها.. فلا يأس من رحمة الله ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(١).
فعزمت على الهجرة مهما كان الثمن فادحًا.. ولكن كيف تهاجر.. إنها امرأة.. والمسافة شاسعة.. فهل من سبيل إلى قطع هذه المسافة الواسعة.. والصحراء الشاسعة من مكة إلى المدينة.. لابد من رفيق.. ولكن أين الرفيق؟! فعقدت العزم.. وأخلصت النية.. ولم يبق إلا أن تتحين الفرصة لذلك.. حتى تهاجر إلى الله ورسوله!!

أخذت أم كلثوم تعد العدة من أجل الهجرة.. وذات يوم والناس يهجعون فى بيوتهم من حر الظهيرة بمكة.. إذا بهم يهرعون على أصوات وجلبة وصياح وضجيج.. أقلق مضجعهم.. فنظرت أم كلثوم بنت عقبة (رضى الله عنها) من سفح بيتها.. فرأت رجلاً من خزاعة ظفر به المشركون وهو يصلى وأخذوا يجرونه فى طرقات مكة يضربونه بالسياط ويركلونه بأرجلهم.. ويكيلون له السباب.. فأحست بالألم والمرارة لما أصاب هذا الرجل الخزاعى المسلم من عذاب وهوان.. ولكنها تعجبت من صموده وصبره أمام هذا الطوفان الهادر من العذاب.. وهم يصيحون به: عد إلى دين آبائك.. عد إلى الكفر.. وهو يصر على الإيمان ويقول لهم: أحد أحد.. والسياط تنهش منه الجسد.. وهو صابر محتسب.. وليس على لسانه إلا: أحد أحد.

وذات يوم خرجت أم كلثوم إلى السوق لقضاء بعض حوائجها فرأت ذلك الخزاعى فانتحت به جانبا.. بعيدًا عن أعين المشركين والكفار.. وقالت له: لم تقيم على الضيم.. لم لا تهاجر إلى الله ورسوله.. فسألها الرجل.. أأنت مسلمة؟

فقالت له: أجل أنا مسلمة.. وسوف أهبك ناقة تهاجر عليها.. على أن تصحبنى إلى المدينة.. ففاض وجه الرجل بالبشر.. وزاد من سروره أن قالت له: موعدنا غداً بعد الغروب عند التنعيم.

فلم تنم أم كلثوم من ليلتها.. وذلك من شدة فرحتها.. وجلست ساهرة والأشواق تداعبها.. وحب الرسول ﷺ والإسلام يغالبها.. حتى أقبل الصباح.. وقامت تجهز الطعام والزاد سراً.. وأحضرت الناقتين.. وكانت قد اشترتهما من مالها منذ زمن بعيد.. وعندما أقبل الليل.. كان أخواها عمارة والوليد.. فى دار الندوة عند الكعبة.. فأسرعت فوضعت الزاد فوق الراحلتين.. ومضت فى طرقات مكة فى ظلمة الليل.. حتى وصلت إلى التنعيم..

(١) سورة يوسف آية ٨٧.

وكان الرجل الخزاعى فى انتظارها.. فأعطته ناقة وسار أمامها. ومضت على ناقتها خلفه!!.

ووصل الركب الإيمانى إلى المدينة المنورة بنور المصطفى ﷺ فى دار الهجرة.. وكان وراءه ركب آخر يقطع الصحراء الشاسعة من مكة إلى المدينة مسرعًا.. يضم رجلين هما عمارة والوليد أخواها من أجل أن يرجعاها إلى مكة..

وعلمت أم كلثوم بوصولهما فملأ الخوف قلبها.. أيعودان بها إلى مكة حيث العذاب والهوان.. بعد أن اكتشفا إسلامها وفرارها بدينها.

فأسرع عمارة والوليد إلى لقاء رسول الله ﷺ وطلبا منه أن يرد عليهما أختهما أم كلثوم وفاء لعهده معهم فى صلح الحديبية.. من أن المسلمين يردون على أهل مكة من جاءهم مسلمًا.

وأسرعت أم كلثوم إلى الرسول ﷺ وهى ترتجف والخوف يعتصرها وقالت: يارسول الله.. أنا امرأة وحال النساء إلى الضعف وأخشى أن يفتنونى فى دينى ولا صبر لى.. ولكن أخويها قالا: يا محمد لابد لك من الوفاء، بما عاهدتنا عليه.. فماذا يفعل الرسول ﷺ وهو نبى الوفاء.. لقد رد قبلها رجالاً كثيرين جاءوا مسلمين.. وطالب المشركون بعودتهم..

فردهم المصطفى ﷺ ردًا جميلا وقال لهم: اصبروا وسوف يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه.. ولكن هؤلاء رجال..وهذه امرأة..فماذا يفعل المصطفى ﷺ؟ فانتظر الهادى البشير ﷺ وحى السماء.. فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(1).

لقد حكم الله تعالى.. ولاراد لحكمه.. ولا معقب لأمره.. فلا رجوع لمؤمنة إلى الكفار حتى لا تفتن فى دينها.. بل يمتحنها رسول الله ﷺ كما أمره الله تعالى:

ما أخرجك إلا حب الله ورسوله.. وحب الإسلام.. لا حب مال ولازوج ولاولد.. فقالت: ما أخرجنى إلا حب الله ورسوله.. وحب الإسلام. لا حب مال ولا زوج ولا ولد.. فلما قالت ذلك.. منعها الرسول ﷺ من الكفار.. وأبى أن يعيدها إليهم.

(1) سورة الممتحنة ١٠.

وكانت أم كلثوم بنت عقبة (رضى الله عنها) أول امرأة فتحت الطريق أمام المؤمنات للهجرة إلى الله ورسوله ﷺ.

بلا مال ولا جاه مهاجرة إلى الله
ولازوج ولا ولد ولا أخت ولا عضد
كأسراب مهاجرة إلى المولى بلا عدد(*)

لايؤذى حى بميت

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(١).

فلا يضر آدم إن أخطأ ولده، ولا يتحمل الولد تبعات أبيه، وكل أمام الله سواء، كل مسئول عن نفسه أمام الله ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾(٢) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(٣).

ويقول الهادى البشير ﷺ: «ألا لا يؤذى حى بميت».

فقد حدثت هذه القصة أثناء الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة، فيقولون: إنه عندما هاجرت درة بنت أبى لهب رضى الله عنها من مكة إلى المدينة.. عيّرتها بعض النسوة وقلن لها: «يا بنت حمّالة الحطب».. فأحزن ذلك دُرة، وبكت وشكت إلى رسول الله ﷺ فغضب غضبًا شديدًا وقال: «لا يؤذى حيٌّ بميت».

أى: لا يجوز أن يؤذى الأحياء بالأموات، ولا الأموات بالأحياء، كأن يعير هذا بأبيه، أو تعير هذه بأمها.

وهذا دليل كاف على أنه: ما كان الله ليعذب ولدًا بعاقبة أبيه، أو يعذب أبًا بذنب ولده، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى، فهذه درة بنت أبى لهب فى أعلى عليين، بينما أبوها وأمها فى أسفل سافلين.. بسم الله الرحمن الرحيم﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾(٤).

(*) من شعر المؤلف.

(١) سورة الإسراء آية ١٥. (٢) النحل ١١١.

(٣) سورة الزلزلة ٧، ٨.. (٤) سورة المسد.

فلا يستحق العز والكرامة فى الدنيا والآخرة، إلا من يعمل لهما، ويكد من أجلهما، فالإيمان والإسلام ليسا إرثا، وكذلك الشرف الرفيع، والمجد والسؤدد، كل هذا لايورث، وكما يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنذا ... ليس الفتى من يقول كان أبى

فلا يستحق الفخر إلا من يعمل له، ولا يستحق السلامة والكرامة، إلى يوم القيامة إلا من يكد من أجلهما، أما المتوكلون على آبائهم، والمفتخرون بغيرهم، فما أحراهم بالخزى والعار، ولقد قالوا فى الحكمة القديمة: «المرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد».

فقد افتخر ذات يوم سفيه صعلوك، بآبائه الملوك، فقال: كان أبى ملكًا، وكان عمى أميرًا، وكان خالى وزيرًا، فقال له أحد الحاضرين وكان حكيمًا: هذا كلام طيب، ونحن لا نكذبك فيما تقول، ولكن أنت ماذا، أنت لاشىء.

لئن فخرت بآباء ذوى حسب ... فقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فكم من موتى أحياء، وكم من أحياء موتى، فلا يؤذى الأحياء بالموتى، ولايؤذى الموتى بالأحياء، وصدق رسول الله ﷺ: «لايؤذى حى بميت»..

وذات يوم ذكروا رجلاً أمام السيدة عائشة (رضى الله عنها) وكان رجل سوء، فقالت بئس الرجل هو.

فقالوا لها: يا أم المؤمنين لقد مات بالأمس.. فندمت السيدة عائشة ندماً شديداً، وقالت لقد أفضى إلى ما قدم..

فمن كان فى ذمة الله فلا يجوز الخوض فيه سواء كان شخصًا رحل، أو ماضيًا ذهب، لأنه إن كان فى النار فحسبه النار، وإن كان فى الجنة فلا إعتراض لنا على حكم الله بدخوله الجنة.. فاذكروا محاسن موتاكم، واذكروا المحاسن دائمًا، وغضوا عن المساوئ، فليس لنا من الناس إلا ظاهرهم، وعلى الله باطنهم.

فاقطف الأزهار، واترك الأشواك، واجمع الثمرات، من هنا وهناك، لا تسب هذا، لا

تسب ذاك، كن يداً بيضاء، بوركت يداك، حتى تكون بشرى، لكل من يراك.. إنسانى الصفات، فى داخله ملاك..

هذا واحذر الزلات الثلاث حتى لا تكون من الجاهلين:

ـ احذر أن تقول لأخيك أنت كافر.. فمن قال لأخيه أنت كافر، فقد باء بها أحدهما وأصبح من الكافرين.

ـ واحذر أن تقول لأخيك أنت ملعون، فمن قال لأخيه أنت ملعون، فقد ردت عليه اللعنة، ولعنته الملائكة فى عليين.

ـ واحذر أن تقول لأخيك أنت منافق، فمن قال لأخيه أنت منافق، فقد أحدث فتنة فى الدين.

نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين..

هذا وليكن حظ المؤمن منك ثلاثًا:

إذا لم تنفعه فلا تضره.

إذا لم تكرمه فلا تهنه.

إذا لم تمدحه فلا تذمه.

هذا..

وإن هناك أناسًا يحبون الظهور والشهرة على حساب الآخرين..

ولهؤلاء أقول: إن الله تعالى يحب الأتقياء الأخفياء.. الذين إذا حضروا لم يعرفوا.. وإذا غابوا لم يفقدوا.. قلوبهم مصابيح الدجى.. تراهم فى كل غبراء مظلمة.

فإذا كنت تحب الظهور.. فأنت عبد الظهور..

وإذا كنت تحب الخفاء.. فأنت عبد الخفاء..

وإذا كنت تحب الله.. فأنت عبد الله.. إن شاء أظهرك.. وإن شاء أخفاك..

فأنت عبد ما تحب.. وعبد ما تكره.. فأحب لله.. واكره لله.. تكن عبداً لله.. جديراً بالحياة.

الهجرة من المعصية إلى الطاعة

لايسخر قوم من قوم

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١).

ويقول الهادى البشير ﷺ: «رب أشعث أغبر.. لو أقسم على الله لأبره».

«فلا تسخر من أحد.. ولا تظهر الشماتة بأخيك.. فيعافيه الله ويبتليك.. ويرفعه عليك ويزدريك.. ويغنيه عنك ولا يغنيك.. ويحوجك إليه ولا يعطيك.. وكما شمت فيه يشمته فيك».

هذا..

وإذا كان الخوض فى أعراض الأحياء حرامًا.. فإن الخوض فى أعراض الأموات أشد حرمة.. لأنهم فى دار الحق عند الله.. فلا يجوز لنا أن نسيء إليهم.. لأنهم إن كانوا فى النار.. فحسبهم النار.. وإن كانوا فى الجنة فلا اعتراض لنا على حكم الله بدخولهم الجنة.. كما لا يجوز لنا أن نُعير أحداً بأمه وأبيه.. أو أخته وأخيه.. أو حتى بماضيه.. فمن عير أختًا مسلمة بماضيها أو عير أخًا مسلمًا بماضيه.. نقل الله ما فيهما فيه.. وأراه ما لا يشتهيه.. ويوم القيامة يخزيه.

والشاعر يقول:

من يعب يوماً بشيء ... لم يمت حتى يراه

والأولى بنا: بدلاً من أن نُعَيِّرَ هذه بماضيها.. أو نُعَيِّرَ هذا بماضيه.. أن نبارك لها وأن نهنئها.. وأن نأخذ بيديها.. وأن نبارك له وأن نهنيه وأن نعينه.. فيما هو فيه.. لا أن نعيرها بأمها وأبيها.. أو نعيره بأمه وأبيه.. والله تعالى يقول: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(٢). فلا يضر آدم إن أخطأ ولده.. ولا يتحمل الولد تبعات أبيه.. وكل أمام

(١) سورة الحجرات آية ١١.

(٢) سورة الإسراء آية ١٥.

الله سواء.. كل مسئول عن نفسه أمام الله.. ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾(١) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(٢).

فعلى المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يسعدوا.. إذا تاب واحد منهم إلى الله وأناب. وأن يفرحوا به.. فرحة الأهل إذا عاد غائبهم.. ولا يذكرونه بما مضى.. عسى الله أن يجعله عضواً نافعاً فى جسد الأمة الكبير.. ليثمر ويزدهر.. وطوبى لمن جعل الله لسانه بلسمًا.. وويل لمن كان لسانه علقمًا.

---

(١) سورة النحل آية ١١١.
(٢) سورة الزلزلة آية ٧، ٨.

عاشــــوراء

«صيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة ماضية»

حديث شريف

يوم عاشوراء[1]

هو اليوم العاشر من محرم.. وهو يوم عظيم عند الله تعالى.. عظيم فى السموات والأرض.. وشهر المحرم من الأشهر الحرم.. بل أول الأشهر الحرم.. الأربعة:

محرم ـ رجب ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة.

وهذا اليوم العظيم.. يوم العاشر المسمى: «عاشوراء» من الأيام التى لها عند الله قدر عظيم فى الملأ الأعلى.

فلقد فضل الله بعض الأيام على بعض.. وبعض الشهور على بعض.. كما فضل سبحانه بعض الأماكن على بعض.. ففضل بعض البلاد على بعض.. كما فضل بعض العباد على بعض..

وهكذا فقد فضل الله تعالى بعض الأزمنة على بعض.. وبعض الأمكنة على بعض. وبعض الخلق على بعض.. وبعض الأمم على بعض. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[2].

فقد فضل: يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر ويوم عاشوراء إلخ على سائر الأيام. وفضل الليالى العشر الأخيرة من رمضان على سائر الليالى.. وفضل ليلة القدر على ألف شهر.

وفضل: شهر رمضان على الشهور ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[3].

وفضل: مكة على سائر البلاد.. وأقسم بها تعالى فى كتابه الحكيم: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾[4].

وفضل: الكعبة على سائر الكعاب.. والحجر الأسود على سائر الأحجار ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[5].

---

(١) هو اليوم العاشر من محرم.. والعاشوراء نوع من الحلوى يتخذ من مقشور القمح.. وقد يضاف إليه اللبن والزبيب وغيره.

(٢) سورة القصص آية ٦٨.

(٣) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٤) سورة التين آية ٣.

(٥) سورة آل عمران آية ٩٦.

ولقد كان رسول الله ﷺ ينظر إليها.. وهو يودعها ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله.. وأحب بلاد الله إليّ.. ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت».

وفضل: البشر على سائر الخلق.. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾(١).

وفضل: الأنبياء والرسل على سائر البشر ﴿اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(٢).

وفضل: أولى العزم من الرسل على سائر الأنبياء والرسل.. وأولو العزم.. هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ. ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾(٣).

وفضل: محمداً ﷺ على أولى العزم من الرسل.. ﴿رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٤).

وفضل: أمه محمد ﷺ على كل الأمم فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٥).

(فهؤلاء) المفضلون.. هم أهل الصفوة من خلق الله تعالى.. وهم أهل السعادة فى الدنيا والآخرة.. هم ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وهؤلاء هم الشجرة المباركة.. التى من تعلق بفرع من فروعها.. ونال من ثمرها.. أخذت بيديه إلى جنة عرضها السموات والأرض.. أعدت للمتقين.

وفضل الله تعالى بقاع المناسك على سائر البقاع.. ففضل المسجد الحرام والمسجد الأقصى والمسجد النبوي على سائر المساجد.. وفضل جبل عرفات على سائر الجبال.. وفضل ماء زمزم على سائر الماء.. ومقام إبراهيم على سائر المقامات..

فقد قال ﷺ: «صلاة فى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة فيما سواه. وصلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه.. إلا المسجد الحرام. وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه»(٦).

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٠.
(٢) سورة الحج آية ٧٥.
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٣.
(٤) سورة الأحزاب آية ٤٠.
(٥) سورة آل عمران آية ١١٠.
(٦) رواه البخارى ومسلم.

وقال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام.. ومسجدى هذا.. والمسجد الأقصى»(١).

وقال ﷺ: «الحج عرفة»(٢). «ومن نزل من على عرفات.. وظن أن عليه ذنبًا لم يغتفر فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

وقال ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له».. «إنها مباركة طعام طعم وشفاء سقم»(٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(٤).

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة.. وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء.. فسألهم عن ذلك؟

فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من فرعون.. فنحن نصومه شكراً لله.. وتعظيمًا له..

فقال الهادى البشير ﷺ: «نحن أولى بموسى منكم.. لو عشت إلى قابل (أى: إلى العام المقبل) لأصومن التاسع والعاشر»(٥).

ولكن النبى ﷺ لم يعش للعام المقبل.

ولكن السنة هى كل قول وعمل وإقرار وصفة عن النبى ﷺ.. فأصبح من السنة صيام التاسع والعاشر.. مخالفة لليهود.. فما أراد الرسول ﷺ من قوله (لأصومن التاسع والعاشر) إلا مخالفة اليهود.. حتى تكون للمسلمين شخصيتهم المستقلة.. فلا يتبعون أحداً من أهل الكتاب.

فضل يوم عاشوراء

هذا.. وقد ورد فى فضل يوم عاشوراء آثار كثيرة منها:

(*) أن الله تعالى خلق فى يوم عاشوراء آدم عليه السلام .. وفيه أدخله الجنة .. وفيه تاب عليه ..

---

(١) رواه مسلم وغيره.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخارى.
(٤) سورة البقرة آية ١٢٥.
(٥) رواه الترمذى.

(*) وفى يوم عاشوراء خلق الله تعالى : العرش والكرسى والسموات والأرض والشمس والقمر والكواكب والنجوم والجنة.

(*) وفى يوم عاشوراء ولد الخليل إبراهيم.. وفيه نجاه الله تعالى من النار ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(١) .

(*) وفى يوم عاشوراء : نجى الله موسى عليه السلام ومن معه من فرعون .. وفيه أغرق فرعون ومن معه .

(*) وفى يوم عاشوراء : ولد عيسى عليه السلام وفيه رفع إلى السماء.

(*) وفى يوم عاشوراء: رفع الله تعالى إدريس عليه السلام مكاناً علياً..

(*) وفى يوم عاشوراء: نجى الله تعالى نوح عليه السلام ومن معه فى السفينة من الغرق واستوت على الجودى وأغرق الباقين.

(*) وفى يوم عاشوراء : وهب الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام الملك العظيم.. الذى لا ينبغى لأحد من بعده.

(*) وفى يوم عاشوراء : نجى الله تعالى يونس من بطن الحوت.

(*) وفى يوم عاشوراء : أخرج الله تعالى يوسف من الجب ورد بصر يعقوب عليه.. ثم جمع بينه وبين يوسف عليهما السلام..

(*) وفى يوم عاشوراء: كشف الله تعالى الضر عن أيوب عليه السلام وآتاه أهله ومثلهم معهم رحمة من الله تعالى.

(*) وفى يوم عاشوراء: كان أول مطر ينزل من السماء إلى الأرض مباركاً .. تهتز به الأرض وتربو .. وتخضر به وتزدهر .. ويحيى به الله الأرض بعد موتها ..﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢) ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(٣) .

---

(١) سورة الأنبياء آية (٦٩)

(٢) سورة فصلت آية (٣٩).

(٣) سورة الروم آية (٥٠)

(*) وفى يوم عاشوراء : استشهد الحسين رضى الله عنه فى كربلاء وطار إلى الفردوس الأعلى حيث خاتم النبيين .. والآل الطاهرين .. وثلة المقربين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

هذا .. وإن صيام يوم عاشوراء كان معروفاً بين الأمم السابقة .. فكانت تصومه كل أمة تقرباً إلى الله تعالى وتعظيماً له..

حتى قيل إنه فرض على الأمة قبل رمضان .. ثم نسخ به .. وصامه الرسول ﷺ قبل الهجرة . ولما دخل المدينة أكد على صيامه .. حتى قال ﷺ فى آخر عمره الشريف : إن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر .. فانتقل إلى الرفيق الأعلى من عامه .. ولم يصم غير العاشر .. لكنه رغب فيه .. وفى صوم التاسع والحادى عشر بقوله ﷺ : «صوموا قبله يوماً وبعده يوماً .. وخالفوا سنة اليهود»[2].

حيث أفردوه بالصوم وحده.

التوسعة يوم عاشوراء

هذا .. ولقد روى البيهقى فى شعب الإيمان .. من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه : «من وسع على عياله وأهله فى يوم عاشوراء وسع الله عليه فى سائر سنته» وفى رواية منكرة للطبرانى: الصدقة فيه بدرهم.. بسبعمئة ألف درهم ..

وأما حديث : « من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام .. ومن اغتسل فيه لم يمرض».

فحديث موضوع .. وقد صرح الحاكم : بأن الاكتحال يومه بدعة..

وقال ابن القيم : حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والدهون والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين.

واعلم : أن ما أصيب به الحسين رضى الله عنه يوم عاشوراء .. إنما هو الشهادة الدالة على مزيد رفعته ودرجته عند الله تعالى .. وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين .. فمن ذكر ذلك اليوم مصابه .. فلا ينبغى أن يشتغل إلا بالاسترجاع امتثالاً للأمر وإحرازاً لما رتبه الله

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.
(٢) رواه أحمد .

تعالى عليه .. بقوله : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1] وإياه ثم إياه أن يشتغل ببدع الرافضة ونحوهم من الندب .. والنياحة.. والحزن .. إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين .. وإلا لكان يوم وفاة جده المصطفى ﷺ أولى بذلك وأحرى ..وحسبنا الله تعالى وحده ونعم الوكيل[2].

كيفية صيام يوم عاشوراء

هذا ..:

ولما كان المقصود من صيام يوم عاشوراء .. شكر الله تعالى وتعظيمه على نجاة نبيه موسى عليه السلام من فرعون وقومه .. ونحن لا نفرق بين أحد من رسله..

وكان صيام النبي ﷺ سنة لنا نحن المسلمين .. أمرنا فيها بمخالفة اليهود والنصارى : بأن نصوم يوماً قبله ويوماً بعده .. لحديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « صوموا يوم عاشوراء .. وخالفوا اليهود .. وصوموا يوماً قبله .. ويوماً بعده »[3].

وما رواه أحمد رضى الله عنه : « أمرنا رسول الله ﷺ بصوم عاشوراء يوم العاشر»[4] .

وما ورد أن النبي ﷺ قال : « لو عشت إلى قابل .(أى : إلى العام المقبل) لأصومن التاسع والعاشر »[5] فمات ﷺ من عامه .. قبل أن يصوم التاسع .. والعاشر معاً..

ولما كانت السنة هي كل قول وفعل عن النبي ﷺ وجب علينا التأسي به ﷺ فقد صام العاشر عملاً .. وصام التاسع قولاً..

من هنا .. فمراتب صيام يوم عاشوراء ثلاثة :

(١) صيام يوم عاشوراء .. وهذا أقله ..

(٢) صيام التاسع والعاشر .. وعليه أكثر الأحاديث..

(٣) صيام التاسع والعاشر والحادى عشر .. وهذا أكملها..

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٧.

(٢) من كلام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى (رضى الله عنه).

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه أحمد .

(٥) رواه الترمذى .

وبه تمام السنة .. وكمال النعمة ..

فضل صيام يوم عاشوراء

فقد ورد أن حفصة رضى الله عنها قالت : «أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ:

(١) صيام عاشوراء.

(٢) والعشر.. أي : من ذى الحجة.

(٣) وثلاثة أيام من كل شهر.

(٤) والركعتين قبل الغداة»[١].

حكم صيام يوم عاشوراء

فقد ورد أن صيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة ماضية .. وذلك لما رواه الجماعة عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم يوم عرفة يكفر سنتين .. سنة ماضية ، ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية»[٢].

فضل يوم عاشوراء

هذا وقد ورد فى فضل يوم عاشوراء آثار كثيرة .. منها :

(٢) أنه فى يوم عاشوراء : خلق الله آدم عليه السلام ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾[٣] وفيه أدخل الجنة ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[٤] وفيه تاب عليه ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[٥] .

(*) وفى يوم عاشوراء: خلق الله : العرش والكرسي والسموات والأرض والشمس والقمر والكواكب والنجوم والجنة .. ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ

---

(١)رواه أحمد والنسائى .

(٢) متفق عليه.

(٣) سورة آل عمران آية ٥٩.

(٤) سورة البقرة آية ٣٥.

(٥) سورة طه آية ١٢١-١٢٢.

وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1] ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾[2] ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[3] ثم خلق الجنة وزينها وجملها وقال لها تكلمي ، قالت : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[4] .

(*) وفي يوم عاشوراء : ولد الخليل إبراهيم عليه السلام .. وفيه نجاه الله تعالى من النار حين ألقوه فيها :﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[5] .

(*) وفي يوم عاشوراء: رفع الله تعالى نبيه إدريس مكاناً عليا ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[6] .

(*) وفي يوم عاشوراء : ولد عيسى عليه السلام .. ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[7] وفيه رفع إلى السماء ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[8] .

(*) وفي يوم عاشوراء .. نجى الله موسى عليه السلام ومن معه وأغرق فرعون ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [9]

(*)وفي يوم عاشوراء : نجى الله تعالى نوح عليه السلام ومن معه في السفينة من الغرق واستوت على الجودي وأغرق الباقين﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾[10] .

(*) وفي يوم عاشوراء : وهب الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .. ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ *

---

(١) سورة فصلت آية ٩-١٢.
(٢) سورة الرعد آية ٢.
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥.
(٤) سورة المؤمنون آية ١.
(٥) سورة الأنبياء آية ٦٩.
(٦) سورة مريم آية ٥٧.
(٧) سورة مريم آية ٣٣.
(٨) سورة آل عمران آية ٥٥.
(٩) سورة الشعراء آية ٦٥-٦٦.
(١٠) سورة الشعراء آية ١١٩ , ١٢٠.

فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين فى الأصفاد * هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾[1].

(*) وفى يوم عاشوراء : نجى الله تعالى نبيه يونس عليه السلام من بطن الحوت .. ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾[2].

(*) وفى يوم عاشوراء : أخرج الله تعالى يوسف عليه السلام من الجب ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون﴾[3] .

(*) وفى يوم عاشوراء: رد الله بصر يعقوب عليه ثم جمع بينه وبين يوسف عليهما السلام ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾[4] .

(*) وفى يوم عاشوراء : كشف الله تعالى الضر عن أيوب عليه السلام ﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾[5] .

(*) وفى يوم عاشوراء: كان أول مطر ينزل من السماء إلى الأرض يحيى الأرض بعد موتها ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير﴾[6] ﴿ فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير﴾[7]

---

(١) سورة ص آية ٣٥-٤٠.
(٢) سورة الأنبياء آية ٨٧-٨٨.
(٣) سورة يوسف آية ١٩.
(٤) سورة يوسف آية ٩٦.
(٥) سورة الأنبياء ٨٣-٨٤.
(٦) سورة فصلت آية ٣٩.
(٧)سورة الروم آية ٥٠.

(*) وفى يوم عاشوراء : استشهد الإمام الحسين رضى الله عنه شهيد كربلاء وطار إلى الفردوس الأعلى : حيث خاتم النبيين والآل الطاهرين .. وثلة من المقربين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] .

وربك يخلق ما يشاء ويختار

إن من نعم الله تعالى .. أن فضل بعض الأيام على بعض .. وبعض الشهور على بعض.. وبعض السنين على بعض.

كما فضل سبحانه بعض الأماكن على بعض.. ففضل بعض البلاد على بعض .. كما فضل بعض العباد على بعض..

وهكذا .. فإن الله تعالى قد فضل بعض الأزمنة على بعض .. وبعض الأمكنة على بعض .. وبعض الخلق على بعض .. وبعض الأمم على بعض .. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[2] .

فقد فضل الله تعالى : يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر ، ويوم عاشوراء... إلخ .. على سائر الأيام .. وفضل ليلة القدر على سائر الليالى وعلى ألف شهر.. قال تعالى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[3]

وقد فضل الله تعالى : الأيام العشر الأوائل من ذى الحجة .. على سائر الأيام .. يقول تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[4] فقد أقسم الله بها لعلو قدرها... وعظيم شرفها.

وفضل الله تعالى : الليالى العشر الأواخر من رمضان على سائر الليالى وأخفى فيها ليلة القدر .. فقال ﷺ : «التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان»[5]

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٢) سورة القصص آية ٦٨.

(٣) سورة القدر آية ٣.

(٤) سورة الفجر آية ١-٢.

(٥) رواه أحمد وغيره.

وفضل الله تعالى : شهر رمضان علـى سائر الشهور قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآن﴾[١]

وفضل الله تعـالى : مكة على سائر البلاد وأقسم بها .. فقال : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِين﴾[٢] وقال فيهـا المصطفى وهو يـودعها مهاجراً : « واللـه إنك لأحب بلاد الله إلـى الله .. وأحب بلاد الله إلىّ ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت»[٣].

وفضل الـله تعالى : بـقاع المناسك عـلى سائر البـقاع .. ففضـل المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى علـى سائر المساجد .. قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِين﴾[٤] ، وقال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَه﴾[٥] وقال الـهادى البـشير ﷺ : « صـلاة فى المسـجد الأقصى بخـمسمائة صلاة فـيما سواه .. وصلاة فى مـسجدى هذا.. أفضل مـن ألف صلاة فيمـا سواه .. إلا المسجد الحرام .. وصلاة فى المسـجد الحرام .. أفضل مـن مائة ألف فـيما سواه .. وقال ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مسـاجد : المسجد الحرام .. ومسجدى هذا والمسجد الأقصى»[٦] .

وفضل الله تعـالى : الكعبة على سائر الـكعاب ، فقال : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِين﴾ والحجر الأسود علـى سائر الأحجار .. فقيل إنه «يمـين الله فى الأرض يصافح الله به عباده».

وفضـل اللـه تعالـى : جبـل عرفات عـلى سائـر الجبـال .. فقال رسـول اللـه ﷺ : «الحج عرفة»[٧] ومن نزل من عـلى عرفات وظن أن علـيه ذنباً لم يغتـفر .. فقد كفر بمـا أنزل على محمد»..

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥.
(٢) سورة التين ٣.
(٣) رواه الترمذى .
(٤) سورة آل عمران آية ٩٦.
(٥) سورة الإسراء آية ١.
(٦) متفق عليه .
(٧) رواه مسلم .

وفضل الله تعالى : ماء زمزم على سائر الماء .. فقال رسول الله ﷺ : «إنها مباركة .. طعام طعم وشفاء سقم»(١).

وفضل الله تعالى : مقام إبراهيم على سائر المقامات .. فقال تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(٢) .

وفضل الله تعالى : البشر على سائر الخلق ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾(٣)

وفضل الله تعالى : الأنبياء والرسل على سائر البشر ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(٤)

وفضل الله تعالى : أولى العزم من الرسل على سائر الأنبياء والرسل ..﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٥)

وأولو العزم من الرسل .. هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾(٦) .

وفضل الله تعالى : محمداً ﷺ على أولى العزم من الرسل « رسول الله وخاتم النبيين » .

وفضل الله تعالى: أمة محمد ﷺ على كل الأمم .. فقال : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

فهؤلاء هم أهل الصفوة..

وهؤلاء هم المفضلون..

وهؤلاء هم أهل الصفوة من خلق الله تعالى .. وهم أهل السعادة في الدنيا .. والآخرة .. هم ومن تبعهم إلى يوم الدين ..

وهؤلاء هم الشجرة المباركة التى من تعلق بفرع من فروعها .. ونال من ثمرها أخذت بيديه إلى جنة عرضها السموات والأرض.. أعدت للمتقين..

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) سورة البقرة آية ١٢٥.
(٣) سورة الإسراء آية ٧٠.
(٤) سورة الحج آية ٧٥.
(٥) سورة الأحقاف آية ٣٥.
(٦) سورة البقرة آية ٢٥٣.



في يوم ميلاد الرسول ﷺ

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله وسنتى»

حديث شريف

في يوم المولد

يقول تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(١).

ويقول الهادى البشيرﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به .. لن تضلوا بعدى أبداً .. كتاب الله وسنتى»(٢).

فى مثل هذا اليوم منذ ألف وأربعمائة عام من الزمان أو يزيد .. أشرقت على الوجود فى باقة من الورود .. شمس أعظم مولود .. وخير موجود فى الوجود .. محمد محمود .. صاحب الحوض المورود .. والمقام المحمود والموقف المشهود.. واللواء المعقود.. ذى الكرم والجود.. الذى حطم القيود .. وحرر العبيد ..والجم الأسود..

ففى يوم الاثنين الوديع .. من ذلك الشهر البديع شهر الربيع .. كان ميلاد الشفيع.. من جاء للدنيا هدى .. ليكون من حق الجميع . ويكون نوراً للورى .. للشيخ.. للطفل الرضيع..

فيا حبيبى .. يا رسول الله .. أستأذنك أن أتكلم إليك.. فى عيد ميلادك .. ففى العيد ماذا أهدى إليك .. وأعظم شيء قليل عليك .. لا أجد إلا صلاتى عليك .. لأنثر باقة ورد عليك..

أما بعد.. فإن تحدثنا عما يجب أن يكون فى يوم ميلادك الميمون .. لا يفوتنا أن نتحدث عما هو كائن.. إن الذى نشاهده الآن من مظاهر الاحتفال بميلاد النبى ﷺ مما لا يليق بمقام النبوة .. ولا بمقام النبى ﷺ ذلك أن الاحتفال فى هذا العصر .. أصبح شكلاً لا مضموناً .. ومظهراً لا جوهراً.. بعيداً كل البعد عن روح الدين وجوهره ومظهره .. ولا يعنينا من أين ورد علينا .. ولا من أين جاء .. ولكن ما يعنينا هو أن نجعله بعد اليوم لا يجئ.. حيث أنه لا يمت إلى الدين بصلة .. ولا إلى الإسلام بشىء.. فهل يليق أن يكون الاحتفال بميلاد النبى ﷺ بالطبل والزمر.. ورفع الأعلام الخضراء والحمراء والصفراء ؟

هل يليق أن يكون الاحتفال بميلاد رسول الإنسانية ﷺ بإقامة الموائد وصناعة الحلوى الحمصية والسمسمية والمشبك والعروسة والحصان..؟ وهل لا يكون الاحتفال إلا بأوانى الفتة؟

(١) سورة الحشر آية ٧.

(٢) رواه الحاكم وغيره.

وهل لا يكون الاحتفال ولا يجوز إلا «بالتفقير» و«حى.. ألله» «ومدد مدد»؟ وهل فعل هذا من قبل أبو بكـر الصديق؟ هل فعل هذا عمر؟ هل فعل هذا واحـد من أصحاب النبى ﷺ؟

أم هل نحن أكثر حباً للنبى ﷺ من أصحابه..؟

لو كان فى هذا خير .. لسبقنا إليه هؤلاء الأصحاب الأجلاء!!

إنهم يحتفـلون بالنبى ﷺ فى هذه الأيام بإقامـة الموائد .. ثم هم يجتمعون حـولها يأكلون ويترنحون .. ويرقصون.. تحت دعوى ذكر الله تعالى ليصرفوا أنظار الناس عن أعمالهم ..

وإذا رأيتـهم وهم مـقبـلون علـى الطعـام.. أصابـتك قشـعريرة الأسـى والأسف .. لـقد شاهدهـم أحد السائحـين .. وهم يأكلون.. بـطون عالية.. وذقـون نازلة.. فسأل مـا هذا..ماذا يفعلون ؟

فقيل له : إنهم يحتلفون بميلاد نبيهم ﷺ.

فقال : هكذا !!

إن نبيهم ﷺ برىء ، مما يفـعلون .. لقد كان نبيهم ﷺ يمر عليه اليوم واليومان والثلاثة .. لا يدخل فـمه طعام.. ثم قال السـائح : إن المسلـمين كما قـرأنا عنهم فى الـغرب .. قوم لا يأكلون حتى يجوعوا.. فإذا أكلوا لا يشبعون .. ولقد شاهدهم من قبل الشيخ محمد عبده .. وصاح فيهم :

بـطون عـاليـات كـالـطبـولِ ذقــون نــازلات كـــالمخــولِ
أفـى الـتـنـزيـل قـال لـكـم إلـهـى كـلوا أكـل البـهـائم وارقـصوا لـى

ما قال الله لهم هذا.. وما أمر الله بهذا.. ولا أمر رسوله ﷺ.

لقد انتـكست أعلام الإسلام فى كل مـكان فى العالم ونحـن مشغولون.. بالطـبل والزمر و«حى ..ألله»، «مدد مدد»، «مدد يا سيد» ، « مدد يـا حسين» ، «مدد يا أم هاشم» .. ومن قال إن السيد له العجول، والسيدة لها الفول.. والماعز بعزبة المسلمية؟!

من الذى وزَّع هذه الأنصبة؟!

﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾(١).

لقد سمعت بأذنى هاتين ورأيت بعينى من يقف أمام ضريح الحسين (رضى الله عنه) ويقول له.. متمسحًا.. ياحسين: امرأتى ستلد اليوم أو غدا.. أريده ذكرًا..

وآخر يقول: ياحسين: الجاموسة ستلد قريبًا.. وقد طرحت فى العام الماضى.. فكن معها فى هذا العام.. أريده «بتلو».. هل هذا يعقل..؟ وفى أى عصر نحن وفى أى عصر أيا كان؟! وفى هذا العصر بالذات؟!

العصر المادى.. العصر العلمى العقلى الذى لا يعترف إلا بالمادة.

والمادة فقط.

هل يليق بنا هذا ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين؟ هل يليق بنا هذا.. ونحن شعب مسلم وأمة مسلمة متحضرة.. وصاحبة حضارة على رأس حضارات العالم؟

هل يليق بنا ما نراه أمام الضرائح والسرادقات وفى الشوارع وفى أنفسنا؟

إن الاحتفال الحق بميلاد النبى ﷺ يكون بإحياء السنة.. وسحق البدعة.. ومحقها.

يقول الرسول ﷺ:

«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى.. عضوا عليها بالنواجذ»(٢).

«من أحيا سنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد»(٣).

ونحن نعلم: «أن شر الأمور محدثاتها.. وكل محدثة بدعة.. وكل بدعة ضلالة.. وكل ضلالة فى النار»(٤).

وصدق رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله وسنتى»(٥) فلقد تقهقر المسلمون فى إحدى المعارك الحربية.. من أجل سنة من سنن الإسلام أهملت.. وكاد العدو أن يفتك بهم.. وعندما بحثوا فى أنفسهم.. عن سر تقهقرهم.. وجدوا أنهم أهملوا سنة السواك.. فتسلقوا أشجار الأراك. وقطعوا أعواد السواك.. وتسوكوا.. وعندما رآهم العدو يمضغونه فى أفواههم.. ظن أنهم جاءوا فتسلقوا الأشجار ليأكلوا من

---

(١) سورة النجم آية ٢٣.
(٢) رواه الترمذى وابن ماجه.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه مسلم وغيره.
(٥) رواه الحاكم وغيره.

أخشابها.. فقذف الله فى قلوبهم الرعب.. وقالوا فى أنفسهم: إن كان هؤلاء جاعوا فأكلوا من أخشاب الشجر.. فوالله لو تمكنوا منا لأكلونا.. فولوا الأدبار.. وانتصر المسلمون نصراً عزيزاً. مؤزراً.. وانتصر الإسلام بفضل سنة واحدة أحييت..

هذه سنة واحدة أهملت.. فكانت الهزيمة.. ثم أقيمت فكان النصر وتحول المسلمون من منهزمين إلى منتصرين.. فتأمل.. كيف لو أننا أحيينا السنن الكثيرة المهملة..؟

وقد يقول بعض الناس: إن الفرشاة والمعجون تغنى.. نقول لهم.. اقرأوا.. ما قاله الأعداء قبل الأصدقاء والحق ما شهدت به الأعداء.

ولعلنا.. قرأنا عن الطبيب الأمريكى الذى حضر خصيصًا لإحضار أجزاء من أشجار الأراك.. الذى يؤخذ من أعوادها السواك.. ليدخله فى صناعة معجون الأسنان.. بعد أن ثبت علميا: أن به مادة تمنع تسوس الأسنان..

وتأمل معى. كيف يكون حالنا لو أننا أحيينا سنن الإسلام؟

إن إحياء سنة من سنن الإسلام خير من مطر أربعين عاما.. بل إن إحياء سنة واحدة خير لهذه الأمة.. مما طلعت عليه الشمس.. وصدق رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا.. كتاب الله وسنتى»(١) . و«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٢). و«إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة.. وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون فى النار.. وواحدة فى الجنة.. وهى الجماعة»(٣).

حب الرسول .. سر الوصول

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٤)، و﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥).

ويقول ﷺ: «من نسى الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة». «البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علىّ». (أى من سمع اسمي ولم يصل على)، «أكثركم أزواجًا فى الجنة أكثركم صلاة علىّ».

---

(١) رواه الحاكم وغيره. (٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وأبوداود عن معاوية رضى الله عنه.

(٤) سورة الأحزاب آية ٥٦. (٥) سورة آل عمران آية ٣١.

ولقد صعد رسول الله ﷺ المنبر فى بيت المقدس فى ليلة الإسراء ووقف إمامًا للأنبياء كالقمر بين النجوم، يهدى ويضى، ويخطب خطبته الشهيرة: الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل علىّ القرآن فيه تبيان كل شىء، وجعل أمتى وسطا، وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون، وشرح لى صدرى، ووضع عنى وزرى، ورفع لى ذكرى، وجعلنى فاتحًا وخاتمًا.

وكما صعد رسول الله ﷺ المنبر فى الحرم القدسى، صعد المنبر فى الحرم النبوى وقال: آمين آمين آمين!

أتانى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يبرهما، فمات، فدخل النار، فأبعده الله.. قل: آمين.. قلت: آمين.

يا محمد من أدرك شهر رمضان، فمات، فلم يغفر له، فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين.. قلت: آمين.

يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل علىّ، فمات، فدخل النار، فأبعده الله. قل: آمين. قلت: آمين.

فمن صلى علىّ صلاة، صلى الله بها عليه عشراً، ومن صلى علىّ عشراً، صلى الله بها عليه مائة، ومن صلى علىّ مائة صلاة.. حرم الله جسده على النار.

ويقولون: بينما سفيان الثورى، يطوف بالكعبة.. إذ رأى رجلاً لايرفع قدمًا ولا يضع قدمًا، إلا وهو يصلى على النبى ﷺ فقال له سفيان الثورى:

يا هذا إنك تركت التسبيح والتهليل.. وأقبلت بالصلاة على النبى ﷺ فهل عندك فى ذلك شىء؟

قال: من أنت عافاك الله؟

قلت: أنا سفيان الثورى.

قال: لولا أنك زاهد أهل زمانك، ما أخبرتك بحالى ولا أطلعتك على سرى.. ثم قال لى:

خرجت أنا ووالدى حاجين إلى بيت الله الحرام، حتى إذا كنا فى الصحراء مرض والدى

مرضًا شديدًا، فقمت بشأنه حتى مات، فاسود وجهه، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وغطيت وجهه، فغلبتنى عيناى، وأخذتنى سنة من النوم، فنمت حزينًا، فرأيت رجلا لم أر أجمل منه وجهًا، ولا أنظف منه ثوبًا، ولا أطيب منه ريحًا، يرفع قدما، ويضع أخرى حتى دنا من والدى، فكشف الإزار عن وجهه، فمر بيده على وجهه فابيض، ثم ولى راجعًا، فتعلقت بثوبه.. فقلت: يا عبدالله.. من أنت الذى من الله على والدى بك فى أرض الغربة؟

قال: أو ما تعرفنى؟

أنا محمد بن عبدالله، صاحب القرآن، أما إن والدك كان مسرفًا على نفسه، ولكن كان يكثر الصلاة على.. فلما نزل به مانزل استغاث بى، وأنا غياث لمن أكثر الصلاة علىّ، فانتبهت، فإذا وجه أبى قد ابيض.

فأكثروا من الصلاة والسلام على النبى ﷺ فإنها تبيض الوجوه، يوم تسود الوجوه، وتحيى القلوب يوم تموت القلوب.

ويهمس النبى ﷺ فى آذاننا جميعًا.. بقوله: أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علىّ، قالوا: كيف تعرض عليك صلاتنا يارسول الله وقد أرمت (أى صرت ترابا)؟

قال ﷺ: إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فما منكم من أحد يصلى أو يسلم علىّ إلا رد الله علىّ روحى كى أرد عليه السلام.

فأكثروا من الصلاة والسلام على مسك الختام، وخير الأنام، شفيع الخلائق يوم الزحام، عليه الصلاة وأزكى السلام.

وفى الختام، يامسك الختام، ياحبيبى يارسول الله، وأنا بين يديك، ماذا أهدى إليك؟ وأعظم شيء قليل عليك، لا أجد إلا صلاتى عليك، لأنثر باقة ورد عليك:

فأجمل منك لم تر قط عينى ... وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١)، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

ويقول ﷺ: «لو أن موسى فيكم لا تبعني، ولو أن عيسى فيكم لاتبعني، ولو أن موسى فيكم واتبعتموه لضللتم، ولو أن عيسى فيكم واتبعتموه لضللتم، أنتم حظى من الأمم، وأنا حظكم من الأنبياء»، و«أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ، آدم فمن سواه، إلا تحت لوائى، وأنا أول شافع وأول مشفع، وأنا أكرم الأولين، وأكرم الآخرين، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأنا أول من يدخل الجنة.. أدخل الجنة ومعى فقراء المسلمين».

صلى الله عليك يا حبيبى يارسول الله: يا صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، والموقف المشهود، واللواء المعقود، والكرم والجود، محمد محمود، أعظم مولود، وخير موجود فى الوجود.

بافخر الأنبياء. يا من تقف يوم الحشر الأكبر بلا منافس ولا منازع، لا يسمو إليك بشر، ولا يدنو إليك ملك، يوم يهرب كل نبى من قومه ويلوذون بك يابطل الأنبياء، فتخرج عليهم من هولها، وتقول: أنا لها، أنا لها.. فيقول الله لك: اسأل تعطى، واشفع تشفع.

يا من زكى الله عقلك فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾(٣).

وزكى لسانك فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾(٤).

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٢) سورة آل عمران آية ٣١.

(٣) سورة النجم آية ٢.

(٤) سورة النجم آية ٣.

وزكى جليسك فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[1].

وزكى فؤادك فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[2].

وزكى بصرك فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[3].

وزكى صدرك فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[4].

وزكاك كلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5].

وزكى أمتك فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[6].

مفتاح الإسلام

فقد قرن الله تعالى اسمه باسمك ياحبيبي يارسول الله: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله، أول ركن من أركان الإسلام. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله، لا يدخل الإسلام إلا من قالها. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله، يقولها المؤذن كل يوم خمس مرات ويرددها الكون معه.. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله مكتوبة على باب الجنة.. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله، لا يدخل الجنة إلا من قالها. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله، مفتاح دخول الإسلام.. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله، مفتاح دخول الجنة.

وكما قرن الله اسمه باسمك ياحبيبي يارسول الله، قرن حبه بحبك فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[7].

وكما قرن الله اسمه باسمك، وحبه بحبك ياحبيبي يارسول الله، قرن طاعته بطاعتك.. فقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[8]. ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[9]. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[10].

---

(١) سورة النجم آية ٥.
(٢) سورة النجم آية ١١.
(٣) سورة النجم آية ١٧.
(٤) سورة الشرح آية ١.
(٥) سورة القلم آية ٤.
(٦) سورة آل عمران آية ١١٠.
(٧) سورة آل عمران آية ٣١.
(٨) سورة النساء آية ٨٠.
(٩) سوة النور آية ٥٤.
(١٠) سورة النساء ٦٩.

وكما قرن الله اسمه باسمك وحبه بحبك، وطاعته بطاعتك.. قرن قضاءه بقضائك.. فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(١).

ثم قرن الله حكمه بحكمك.. فقال: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

ثم أعطاك الله كل هذا فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٣).

فاتباع الرسول، أصل الأصول، وسر الوصول، حب الرسول:

سر الوصول إلى المقام العالي   حب النبي محمد والآهل

وقد ذكر أن رجلا رأى صورة قبيحة فى الصحراء فقال: من أنت؟

قالت: أنا عملك القبيح.. قال: فما النجاة منك؟

قالت: الصلاة والسلام على الرسول ﷺ.

كما قال ﷺ: «الصلاة عليّ نور على الصراط».

وورد أن رجلاً كان غافلاً عن الصلاة والسلام على النبى ﷺ فرأى النبى ﷺ فى المنام فلم يلتفت إليه النبى ﷺ فقال: يارسول الله.. أأنت غضبان عليّ؟

قال النبى ﷺ: «لا».

قال: فلماذا لا تنظر إليّ.؟

قال: «لأنى لا أعرفك».

قال: كيف لا تعرفنى وأنا رجل من أمتك.. وقد روى العلماء: أنك أعرف بأمتك من الوالدة بولدها؟

قال ﷺ: «صدقوا.. ولكنك لا تصلى عليّ، وإن معرفتى بأمتى بقدر صلاتهم عليّ».

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٦.
(٢) سورة النساء آية ٦٥.
(٣) سورة الحشر آية ٧.

فانتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلى على النبى ﷺ كل يوم مائة مرة، ففعل ذلك.. ثم رأى النبى ﷺ فى المنام فقال له النبى ﷺ «أعرفك الآن واشفع لك».

شفيع الخلائق يوم الزحام ... عليك الصلاة وأزكى السلام

رسول السلام ومسك الختام ... رسمت الطريق لدار السلام

وأنجزت فى فترة من زمان ... ما ليس ينجز فى ألف عام(*)

إن كنتم تحبون الله

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١). ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

يا من تبعتم دينكم ... وكتابكم ونبيكم

متمسكين بدينكم ... بهداية من ربكم

إن اتباع نبيكم ... نور على نور لكم

وهدى تلألأ بينكم ... بجلاله وأحاطكم

جعل الإله يحبكم ... والملتقى يزهو بكم

والمصطفى يدعو لكم ... الله يغفر ذنبكم(*)

الاتباع لا الابتداع

فاتبعوه:

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣). ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤). فالبركة فى الاتباع، والهلكة فى الابتداع.

فمن شاء الشفاعة، فعليه اتباعه، وعليه الصلاة والسلام طاعة، ﷺ كل ساعة.

(*) من شعر المؤلف.

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦.
(٢) سورة آل عمران آية ٣١.
(٣) سورة الأعراف آية ١٥٨.
(٤) سورة الأعراف آية ١٥٧.

فقد صلى الله وملائكته، وأنبياؤه، ورسله، وخلقه من لدن آدم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. صلاة دائمة قائمة إلى يوم القيامة، على النبى الأمين، أول العابدين وسيد السابقين واللاحقين، وخير خلق الله أجمعين.

وكان داود عليه الصلاة والسلام يصلى على النبى ﷺ: فلقد كان يجلس داود عليه السلام ذات يوم فى صومعته، يتلو الزبور إذ رأى دودة حمراء تمشى على الأرض.. فقال فى نفسه: ما أراد الله بهذه الدودة؟

استخفافًا بها، فألهم الله الدودة أن تتكلم. فقالت: يا نبى الله: أما نهارى فألهمنى ربى أن أقول فى كل يوم: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» ألف مرة .. وأما ليلى فألهمنى ربى أن أقول فى كل ليلة: «اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم».

فأنت يانبى الله ماذا تصنع حتى أتعلم منك؟ فأصابت داود قشعريرة الوجل من خشية الله، ومكث يصلى على النبى ﷺ .

وكان موسى عليه الصلاة والسلام يصلى على النبى ﷺ.

وقد سأل بنو إسرائيل موسى ﷺ هل يصلى ربك ياموسى؟

فنادى الله موسى: ياموسى يسألك بنو إسرائيل هل يصلى ربك. فقل لهم: «إنى وملائكتى نصلى على محمد ﷺ».

فأنزل الله قوله تعالى على محمد ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

فلقد كان الأنبياء جميعًا يصلون على النبى ﷺ من لدن آدم عليه السلام وإلى خاتمهم محمد ﷺ ومازال المسلمون يصلون على النبى ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومازال الكون كله يصلى على النبى ﷺ بلسان حاله.

فصلوا عليه وسلموا تسليما..

فما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا فيه على محمد ﷺ إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة.

هذا ولا يُستجاب الدعاء مالم يختم بالصلاة على النبى ﷺ لحديث عمر بن الخطاب

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(رضى الله عنه) عن النبى ﷺ: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شىء حتى تصلى على نبيك ﷺ».

وهكذا.. فإن الله لا يقبل الدعاء ممن لا يصلى على حبيبه ﷺ ولا يقبل الصلاة ممن لا يصلى على حبيبه ﷺ.

يقول الشافعى (رضى الله عنه):

يا آل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم   من لم يصل عليكم لاصلاة له

ويقول أيضًا:

آل النبى ذريعتى   وهمو إليه وسيلتى
أرجو بهم أعطى غدًا   بيدى اليمين صحيفتى

كفاك الله همك

وغفر الله ذنبك

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١). ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

معنى الصلوات

وصلاة الله على النبى ﷺ هى الرحمة.

وصلاة الملائكة على النبى ﷺ هى الاستغفار.

وصلاة المؤمنين على النبى ﷺ هى الدعاء.

وصدق رسول الله ﷺ: «من صلى علىّ صلاة صلى الله بها عليه عشراً، ومن صلى علىّ

(١) سورة آل عمران آية ٣١.

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٦.

عشـراً صـلى اللـه بـها عليه مائة، ومن صلى عليّ مائة صلاة، حرم الله جسده على النار».

وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال: يارسول الله أجعل ربع صلاتى صلاة عليك؟

قال النبى ﷺ: «افعل وإن زدت فذلك خير لك».

قال: يارسول الله أجعل نصف صلاتى صلاة عليك؟

قال النبى ﷺ: «افعل وإن زدت فذلك خير لك».

قال: يارسول الله: أجعل ثلثى صلاتى صلاة عليك؟

قال النبى ﷺ: «افعل وإن زدت فذلك خير لك».

قال: يارسول الله: أجعل كل صلاتى صلاة عليك؟

قال النبى ﷺ: «افعل.. وإن فعلت: كفاك الله همك، وغفر ذنبك».

يـا مـن كـفـاك الـلـه هـمـك وكـفـاك بـعـد الـهـم ذنـبـك

مـاذا عـسـاك الـيـوم تـرجـو بعـد الصـلاة على محـمد(*)

فضل ذكر اسم محمد ﷺ

ويروى أن امرأة جاءت إلى الحسن البصرى (رضى الله عنه) وهى تبكى وتقول: لقد كانت لى ابنة صغيرة.. فى مقتبل العمر وعمر الزهور، هى كل مالى فى هذه الحياة، فقد كانت حيلتى من الدنيا، مات أبوها وتركنا وحدنا، كانت زهرة عمرى، وفلذة كبدى، وحياة روحى.

وذات يوم، مرضت مرضًا شديدًا، لم أدخر وسعًا فى علاجها، ولم أبخل عليها بشىء.. ولو كان نور عينى، ولكن قضاء الله كان أسرع، وأمر الله كان أوجع، فاختطفها الموت منى، وماتت أمام عينى.

وها أنذا الآن بلا عائل ولا واسٍ، أقاسى ما أقاسى، ولا تدرى ما أقاسى، فلعلي ألفظ آخر أنفاسى.

ومما زاد همى هما، وزاد عذابى عذابا. أنى رأيتها الليلة فى المنام.. فى النار.. فى ثياب من

(*) من شعر المؤلف.

قطران.. تطوف عليها ملائكة العذاب من كل مكان، فاستيقظت مذعورة وجئتك لتعلمني كلمات.. عسى الله أن يخفف عنها ما هي فيه. فإن كانت في الجنة.. حمدت الله تعالى وصبرت وإلا قطعت نفسي عليها إربا.

فبكى الحسن البصرى لبكائها، ورق لحالها، وقال لها: أمهليني حتى الصباح، واتقى الله واصبرى، وتوبى إلى الله واستغفري. وصلى الحسن البصرى صلاة الفجر، وأخذ يسبح الله ويستغفره في مصلاه.. فأخذته سنة من النوم، فرأى في المنام فتاة جميلة، عليها ثياب من سندس، ترفل في رياض الجنة، وتقول له:

أو تدرى من أنا، ياشيخنا؟

فقال لها: لا أدرى.

قالت له: أنا ابنة تلك المرأة التى جاءتك بالأمس.

قال لها: ولكنها أخبرتنى أنك في النار.. في ثياب من قطران.

قالت له: لقد كنت كذلك.. في النار في ثياب من قطران ضمن خمسمائة وخمسين.. يعذبون في المقابر.. حتى مر رجل صالح.. فصلى على محمد ﷺ.

فقال الله للملائكة: ارفعوا العذاب عن من في القبر جميعًا بذكر اسم حبيبى ﷺ.

يا من له عز الشفاعة وحده	وهو المنزه ماله شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه	والحوض أنت حياله السقاء
لي في مديحك يارسول عرائس	تيمن فيك وشاقهن جلاء
هن الحسان فإن قبلت تكرما	فمهورهن شفاعة حسناء



الإسراء والمعراج

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

سورة الإسراء آية ١

الإســـراء

السلام عليك يا حبيبى يا رسول الله ..

فى هذه الليلة المباركة ..

فى ليلة الإسراء والمعراج ..

يا حبيبى يا رسول الله ..

وأنا بين يديك .. ماذا أهدى إليك.. وأعظم شىء قليل عليك ..

لا أجد إلا صلاتى عليك .. لأنثر باقة ورد عليك ..

فـأجمـل منـك لم تـر قط عـينـى   وأجـمـل مـنـك لم تـلـد الـنـسـاء

خـلـقـت مبـرءاً مـن كـل عـيـب   كأنـك قد خـلـقـت كمـا تشـاء [1]

وبعد، يقول تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2] فقد أسرى الله بـرسوله ﷺ على ثلاثة مراقى :

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

ومن المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى فى الحضرة العلية ..

ومن سدرة المنتهى إلى الذات الإلهية ..

وهكذا المسلم : يستطيع أن يسرى بروحه وأن يعرج بقلبه إلى ربه كل يوم خمس مرات فى الـصلـوات الخمـس .. وما عـليـه إلا أن يتـوضأ وأن يـحسـن الوضـوء وأن يدخـل فى الصلاة.. فى ثلاثة مراقى :

(*) من التكبير إلى الركوع.

(*) ومن الركوع إلى السجود.

(*) ومن السجود إلى الدنو والقرب من الرب المعبود.

---

(١) من شعر حسان بن ثابت (شاعر الرسول ﷺ)

(٢) سورة الإسراء آية (١).

يا أيها المسرى به شرفاً إلى ... ما لا تنال الشمس والجوزاء

يتساءلون وأنت أطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الإسراء

بهما سموت مطهرين كلاهما ... نور وريحانية وبهاء

فضل عليك لذى الجلال ومنة ... والله يفعل ما يرى ويشاء

تغشى الغيوب من العوالم كلما ... طويت سماء قلدتك سماء

فى كل منطقة حواشى نورها ... نون وأنت النقطة الزهراء

أنت الجمال بها وأنت المجتلى ... والكف والمرآة والحسناء

فالله هيأ من حظيرة قدسه ... نزلاً لذاتك لم يجزه علاء

والعرش تحتك سدة وقوائماً ... ومناكب الروح الأمين وطاء

والرسل دون العرش لم يؤذن لهم ... حاشا لغيرك موعد ولقاء[1]

ثم كانت الرحلة المباركة: إلى ما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر.

يقول الهادى البشير ﷺ :

أتانى ثلاثة نفر .. قبل أن يوحى إلىّ .. وأنا نائم بالمسجد الحرام .. فقال أحدهم : أيهم هو؟.. فقال أوسطهم : هو خيرهم .. فقال آخرهم : خذوا خيرهم ..فكانت تلك الليلة .. فلم أرهم حتى أتونى ليلة أخرى .. فيما يرى قلبى وتنام عينى ولا ينام قلبى .. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ..حتى كانت الليلة .. فأتونى واحتملونى دون أن يكلمونى .. ووضعونى عند بئر زمزم وتولانى منهم جبريل عليه السلام .. فشق صدرى وأخرج ما فى جوفى وغسله بيديه من ماء زمزم .. حتى صار نقياً .. ثم أتى بطست من ذهب فيه من نور من ذهب حشى بنور الإيمان والحكمة .. فحشا به صدرى وحلقى وأطبقه..

ثم جاءنى بالبراق وهو دابة بيضاء اللون .. دون الفرس ..يضع حافره عند منتهى بصره.. فلما هممت بالركوب.. ترنح البراق قليلاً .. فقال جبريل عليه السلام : ويحك أيها البراق ما يحملك على هذا ؟! فوالله ما ركبك قط أكرم عند الله منه .. فارفض البراق عرقاً .. خوفاً وحياء من الله عزوجل ! فركبته فأتيت بيت المقدس .. فربطته فى الحلقة التى يربط فيها الأنبياء .. ثم دخلت المسجد .. فصليت ركعتين .. فلما فرغت من

(١)من شعر أحمد شوقى (الهمزية النبوية).

الصلاة .. أتانى جبريل عليه السلام .. ومعه إنـاء من لبن .. وإناء من خمر .. وإناء من ماء .. فتناولت اللبن فشربت ثلثيه .. فقال جبريل عليه السلام : نجا ثلثا أمتك.. من النار . وتشفع فى الثلث الباقى . فقلت : ناولنيه أكمل الثلث الباقى .. قال : قضى الأمر .. ثم قال لى : أصبت الفطرة .. فلو شربت الخمر .. لغويت ولغوت أمتك.. ولو شربت الماء .. لغرقت وغرقت أمتك .. ولكنك أصبت الفطرة .. وبلغت القدرة .. فهيا إلى المعراج يا أيها السراج.. هيا إلى الروح والريحان.. والرضا والرضوان .. والياقوت والزعفران.. والمسك والريحان .. واللؤلؤ والمرجان .. والحور والولدان ..

ولا غرو فى هذا يا حبيبى يا رسول الله ! فقد سأل موسى ربه :﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾[1] ولكن الله تعالى قال لك : يا حبيبى يا رسول الله دون أن تسأله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[2] ولقد سأل موسى ربه الرضا : فقال : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[3] ولكن الله تعالى قال لك يا حبيبى يا رسول الله .. دون أن تسأله : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[4] ولقد سأل موسى ربه أن يراه : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾[5] لكن الله تعالى قال لك يا حبيبى يا رسول الله دون أن تسأله : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾[6] حتى قلت يا حبيبى يا رسول الله : «انعكس بصرى ببصيرتى ورأيت من ليس كمثله شىء..»[7]

واها لوجهك يا محمد واها	فرش السماء كواكبا وكساها[8]
من رفعة كانت لأحمد آية	لوسيلة ليست هناك سواها
آياتها فوق السموات العلا	لا ينتهى بالمنتهى ذكراها
ومكانة ليست لغير المصطفى	حفظت من العهد القديم لطه
حفظت فكانت موعداً بلقائه	لا ينبغى إلا له إياها
من قبل موسى كان يرجوها له	والله رب العالمين طواها

---

(١) سورة طه آية (٢٥).
(٢) سورة الشرح آية (١)
(٣) سورة طه آية (٨٤).
(٤) سورة الضحى آية (٥)
(٥) سورة الأعراف آية (١٤٣).
(٦) سورة النجم آية (١٣-١٤).
(٧) رواه أحمد .
(٨) من شعر المؤلف .

ليخر موسى ضارعاً مستغفراً ... ما إن تجلى ربه ودحاها
وهفا إليها الأنبياء جميعهم ... لم تستجب إلا له حاشاها
وطوى الزمان صباحه ومساءه ... حتى أتت خير البرية جاها
وعلا على أبراجها فجثت له ... حتى انطوى فى العالمين مداها
واستقبلتك الأنبياء بساحة ... كانوا كواكبها وكنت سماها
وغمست وسط النور فى معراجه ... حتى بلغت المنتهى فتناها
ورأيت نور الله فى سبحاته ... رأى العيان وقد رأيت الله
بصر تلألأ بالبصيرة فانجلى ... وسما بها فرأى الإله وتاها
من فى الوجود رأى الإله جهارة ... بل من تفرد بالشفاعة واها
واها لوجهك يا محمد واها ... فرش السماء كواكباً وكساها

***

المعراج

يقول تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(١)

ويقول الهادى البشير ﷺ : « رأيت ربى فى أحسن صورة »(٢) ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : «أفتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم عليه السلام والكلام لموسى عليه السلام والرؤية لمحمد ﷺ »(٣).

دعوا قلبى يداعبه النسيم ... ليحيا داخلى ملك كريم (٤)
فلولا الشمس ما كانت حياة ... ولولا البدر ما كانت نجوم
ولولا أحمد ما كان نور ... ولا الصديق أو عمر العظيم

---

(١) سورة النجم آية (١-٤).
(٢) ابن كثير تفسير سورة النجم .
(٣) ابن كثير تفسير سورة النجم .
(٤) من شعر المؤلف .

ولا ديـن يـشـع عـلـى وجـود ولا الإســلام دولـتــه تـقــوم

ولا كــانــت صــلاة أو زكــاة ولا أحــد يـحــج ولا يـصــوم

ولا قـامـت عـلـى الـدنـيـا حـيـاة يـعـيـش عـلـى مـنـاكـبـهـا كـريـم

ولا كـان الـهـدوء يـسـود فـيـهـا ولا كـانـت أمـور تـسـتـقـيـم

ولا عـرف الأبـوة ذو بـنـيـن ولا عـرفـت أمـومـتـهـا رءوم

ولـكـن رحـمـة نـزلـت عـلـيـنـا فـقـام الـنـور والـذكـر الحـكـيـم

فـمـن شتـى الـبـقـاع هـفـوا إلـيـه كـمـا يـهـفـو عـلـى المـاء الـنـسـيـم

فـأشرق بـالـهدى شـمـسـاً ونـوراً لـتـلـتـقـى الـكـواكـب والـنـجـوم

فـضـم الأنـبـيـاء لـه جـمـيـعـاً وسـاد عـلـيـهـمـو الـذكـر الحـكـيـم

فـفـى الإسـراء كـان لـنـا ضـيـاء وفـى المـعـراج كـان لـنـا نجـوم

الرحلة المباركة

يقـول الهادى البـشير ﷺ واصـفاً معراجـه إلى السمـوات العلا : «عـرج بى إلى السـماء الأولى .. فطرق جبريل عليه السلام باباً من أبـوابها .. فقيل : من أنت ؟ قال جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال : محمـد ﷺ .. قيل : أبعث إليه ؟ .. قال : قد بعث إليـه .. ففتح لنا .. فإذا أنا بآدم عليه السلام .. فسلمت عليه .. فقال : أهلاً ومرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح .. ورحب بى ودعا لى بخير .. ثـم عرج بى إلى السماء الثانية .. فطرق جبريـل عليه السلام باباً من أبوابها فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل .. قيل ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ فقيل : أبعث إليه ؟ .. قال : قـد بعث إليه ..ففـتح لنا .. فإذا أنا بعيسى ويحيى عليهما السلام ..فـسلمت عليهما .. فقالا : أهلاً ومرحباً.. بالنبـى الصالح والأخ الصالح .. ورحبا بى ودعوا لى بخير .. ثم عرج بى إلى السماء الثالثة .. فطرق جبريل عليه السلام باباً من أبوابها .. فقيل : من أنت؟ قال : جبريل .. قيـل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ .. قيل : أبعث إلـيه ؟ .. قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا .. فـإذا أنا بيوسف عليه السلام .. وإذا به قد آتاه اللـه شطر الحسن والجمال .. فسلـمت عليه .. فقـال : أهلاًومرحباً بـالنبى الصـالح والأخ الصالح .. ورحب بـى ودعا لى

بخير .. ثم عرج بى إلى السماء الرابعة .. فطرق جبريل عليه السلام باباً من أبوابها .. فقيل من أنت ؟ قال : جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال محمد ﷺ .. قيل : أبعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا .. فإذا أنا بإدريس عليه السلام .. فسلمت عليه فقال : أهلا ومرحباً .. بالنبى الصالح والأخ الصالح ورحب بى ودعا لى بخير .. ثم عرج بى إلى السماء الخامسة .. فطرق جبريل عليه السلام باباً من أبوابها فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل .. فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ .. قيل : أبعث إليه ؟.. قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا .. فإذا أنا بهارون عليه السلام .. فسلمت عليه .. فقال : أهلاً ومرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح .. ورحب بى ودعا لى بخير .. ثم عرج بى إلى السماء السادسة .. فطرق جبريل عليه السلام باباً من أبوابها .. فقيل من أنت ؟ قال: جبريل .. فقيل : ومن معك ؟ قال: محمد ﷺ قيل : أبعث إليه ؟ .. قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا .. فإذا أنا بموسى عليه السلام.. فسلمت عليه .. فقال: أهلاً ومرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح .. ورحب بى ودعا لى بخير .. ثم عرج بى إلى السماء السابعة .. فطرق جبريل عليه السلام باباً من أبوابها .. فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال: محمد ﷺ.. قيل : أبعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا . فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام .. فسلمت عليه .. فقال : أهلاً ومرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح .. ورحب بى ودعا لى بخير .. وكان مستنداً إلى البيت المعمور .. الذى يحج إليه كل يوم سبعون ألف ملك .. ولا يخرجون منه إلى يوم القيامة وقال : أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم رفعت إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . وهنا تركنى جبريل عليه السلام .. فقلت : يا أخى يا جبريل أهنا يترك الخليل خليله ؟ قال : يا محمد يعز علىّ أن أتركك هاهنا ولكن لكل منا مقام معلوم فوالذى بعثك بالحق لو تقدمت لاحترقت .. وزج بى فى النور يغشانى نور من فوقه نور من تحته نور من فوقه نور من تحته نور نور على نور .. فى در منثور ولآلئ وبدور .. حتى خفت على نفسى .. فلما رأى الله ذلك منى أسمعنى صوت أبى بكر حتى يهدأ روعى . فأوحى الله إلى ما أوحى .. وفرض الصلاة على أمتى.. خمسين صلاة فى اليوم والليلة .. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام .. فقال لى : ما فرض ربك على أمتك.. قلت : خمسون صلاة فى اليوم والليلة .. فقال لى : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك .. فقد بلوت بنى إسرائيل فى صلاتين فلم يطيقوا .. فرجعت إلى ربى فقلت : أى ربى خفف عن أمتى .. فوضع الله عنى خمساً .. فنزلت حتى انتهيت إلى

موسى عليه السلام .. قال لى : ما فعلت مع ربك ؟ قلت : وضع عنى خمساً قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .. فإن أمتك لا تطيق ذلك .. فرجعت إلى ربى فقلت : أى ربى خفف عن أمتى فوضع الله عنى خمساً .. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام .. فقال لى: ما فعلت مع ربك ؟ قلت : وضع عنى خمساً .. قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .. فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت إلى ربى .. وما زلت بين ربى وبين موسى .. والله يخفف عنى خمساً خمساً .. حتى خفف الله عن أمتى .. وقال لى : « ما يبدل القول لدى .. هن خمس صلوات فى العمل خمسون فى الأجر .. ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة.. فإن عملها كتبت له عشراً .. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب .. فإن عملها .. كتبت واحدة.. فالحسنة عندى بعشر أمثالها .. وقد أزيد .. والسيئة عندى بواحدة وقد أعفو..» فنزلت فلما انتهيت إلى موسى . قال لى: ماذا فعلت مع ربك .؟ قلت : خفف عنى الصلاة وجعلها خمساً .. قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .. فإن أمتك لا تطيق ذلك .. قلت له : يا موسى لقد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه .. فلما كثر تعرض موسى عليه السلام لرسول الله ﷺ .. سأله جبريل عليه السلام .. فقال له : يا موسى لماذا تتعرض لمحمد ﷺ كثيراً .. قال له : يا أخى يا جبريل .. كنت قد سألت الله فى الدنيا أن أراه .. قال لن ترانى .. فلما لم أتمكن من رؤية الله.. فأردت أن أرى من رآه .. فكنت أتعرض لمحمد ﷺ كثيراً .. وأطيل النظر إليه .. لأرى نور الله عليه .

نور عرش الله (*)

يا نور عرش الله حسبك رفعة	أن يذكر اسمك من أراد الله
أو يقرن اسمك باسم ربك عزة	حتى تكون لكل شىء جاها
من نور وجهك أشرقت شمس الهدى	وجلا جمالك بدرها فتلاها
واستقبلتك الأنبياء بساحة	كانوا كواكبها وكنت سماها
واصطفت الرسل الكرام تحية	لأعز مبعوث وأكرم طه
والله أقبل والملائك أقبلت	والعرش والكرسى واها واها

(*) من شعر المؤلف.

والـلـه جـل عـلاه فـى آلائـه | ومـلائك الـرحـمـن جل عـلاهـا
ورأيـت نـور الـلـه فـى سـبـحـاتـه | رأى الـعـيـان وقـد رأيـت الـلـه
وسـمـا بك الـرحـمـن فى مـلكـوته | فـوق المـلائكـة الـكـرام وبـاهـا
وجـثـا الـزمـان عـلى يـديـه مـهابـة | يـسـتـقـبـل الآمـال حـيـن رآهـا
واسـتـعذب الـتاريـخ ذكر مـحمـد | بـقـصـيـدة طـوبـى لمـن غـنـاهـا
ومـشـت بـه الأيـام مشـيـة مـغـرم | فى روضـة أزكى الـنـسيم شـذاها
جـمع الـقلـوب له وألـف بيـنـهـم | مـن جـمـع الأضداد والأشـبـاهـا
فـمـحـمـد نـور الحـياة وسـرهـا | وأمـيـرهـا ورحـيـمـهـا وهـداهـا
لـو لـم يزف إلـى الحـياة محـمـد | مـا قـيـمـة الـدنيا ومـا مـعـنـاهـا
لو لـم تكن طلبـت يديه إلى الهدى | مـا كـان يـقـبـلـهـا ولا يـرضـاهـا
لـكـنـهـا جـاءت إلـيـه ذلـيـلـة | تـرجو الـهـدى من نـوره فـهداهـا
فـهـى الـعـروس وهـذه أزواجـه | طـوبـى لمـن ظـفـرت بـه فـدعـاهـا
واهـا لـوجـهـك يا مـحـمـد واهـا | فـرش الـسـمـاء كواكـبًـا وكـسـاهـا

إسراء المسلم ومعراجه

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[1].

يستطيع المسلم فى أى مكان وزمان .. أن يسرى بروحه إلى ربه .. وأن يعرج إليه بقلبه .. كل يوم خمس مرات .. بل أكثر من هذا حسبما يريد وكيفما يشاء .. وفى أى مكان وزمان.. فإذا كان النبى ﷺ قد أسرى به إلى بيت المقدس .. وعرج به إلى السموات العلا إلى السماء السابعة .. إلى سدرة المنتهى .. عندها جنة المأوى .. للقاء الله تعالى .. فإن هذا

(١) سورة النجم آية (١-١١).

ليس صعباً على المسلم فى يومه وليله .. إن أراد أن يسرى بروحه وأن يعرج بقلبه إلى ربه .. وما عليه إلا أن يتوضأ وأن يدخل فى الصلاة.. فإذا توضأ المسلم .. فقد أخذ أبهى زينته .. وإذا كبر ودخل فى الصلاة .. فقد تهيأ للرحلة المباركة .. وانطلق إليها يرفرف بروحه وقلبه فى معراج إلى ربه .. يجتاز سماء من بعد سماء .. حتى سدرة المنتهى .. فيناجى ربه بكلماته .. ويتقرب إليه فى صلواته .. وفى ذكرى الإسراء والمعراج نتذكر ذلك الحدث العظيم الذى غير الله به وجه الدنيا ..وأعلى به قدر تلك الأمة ..ذلك حين أسرى الله برسوله ﷺ إلى بيت المقدس .. ثم عرج به إلى السماء السابعة .. فى أطول رحلة فى التاريخ .. وأبرك رحلة فى العمر .. وأعجب رحلة فى الدنيا .. توقف لها الزمان .. وتعانق الحدثان وتلاقى الخافقان .. إنها رحلة إلى ما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر .. إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى .. إلى المعية القدسية .. والحديقة اللدنية .. إلى الإيمان والرضوان والسعادة والغفران.. ولما كان لكل ضيف تحية .. ولكل زائر هدية .. وتحفة سنية .. فما بالنا إذا كان الضيف محمداً ﷺ سيد الكائنات ، والمضيف رب الأرض والسموات ..فقد أهدى الله إلى رسوله ﷺ أعظم هدية .. وأكرم سجية ..أعطاه الصلاة التى هى معراج المسلم كل يوم خمس مرات .. ولقد كان من جلالها وعظمتها .. أن استدعاه الله إليها .. ولم يبعث بها إليه كسائر الأركان وذلك لما لها من فضل عظيم .. وخير عميم ومكانة سامية ودرجة عالية .. وإذا كان الله تعالى قد استدعى نبيه المصطفى ﷺ . للقائه عند سدرة المنتهى..فذلك لأمر عظيم .. لا ينبغي إلا لعظيم مثله .. ولا يستدعى له إلا ذو همة وكرامة .. وحاشا أن يكون هذا لغيره ﷺ .. وذلك ليهدى الله لرسوله ﷺ .. هدية الصلاة التي هي معراج المسلم كل يوم خمس مرات.. وهكذا كانت هدية الله تعالى إلى نبيه ﷺ وأمته فى رحلة الإسراء والمعراج هى الصلاة التى هى معراج المسلم إلى ربه فى كل يوم خمس مرات .. وهكذا تبقى رحلة الإسراء والمعراج فينا كل يوم وليلة قائمة دائمة راقية باقية حية وخالدة إلى يوم القيامة . فى داخل كل مسلم .. يستطيع أن يقوم بها فى أى وقت.. وفى كل حين !!

تحويل القبلة

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾

سورة البقرة آية ١٤٤

تحويل القبلة

يقول تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

هذا ..

وقد روى البخارى عن البراء - رضى الله عنه - قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى إلى بيت المقدس بضعة عشر شهراً .. وكان ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة .. فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ فقال السفهاء من الناس وهم اليهود : ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ فرد الله عليهم بقوله تعالى : ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

فلنولينك قبلة ترضاها

واها لوجهك يا محمد واها ... فرش السماء كواكباً وكساها

فلقد تقلب فى السماء تضرعاً ... يبغى التحول هائماً لسواها

فاصبر كما صبر الكبار عزيمة ... ونولينك قبلة ترضاها

أوسط الأمم

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ أى : سيقول ضعاف العقول من الناس : ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أى: ما صرفهم وحولهم عن القبلة التى كانوا يصلون إليها وهى بيت المقدس : قبلة المرسلين من قبلهم ؟

(١) سورة البقرة آية (١٤٢- ١٤٤).

﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أى: قل لـهم يا محـمد : الجهـات كلهـا لله .. له المـشرق والمغرب فأينما ولينا وجوهنا فهناك وجه الله..

﴿يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أى : يهدى المؤمنين إلى الطريق القويم .. والصراط المستقيم لسعادة الدارين ..

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أى: كما هديناكـم إلى الإسلام جعلناكم يا معـشر المؤمنين أمة عـدلاً خيـاراً .. خيـر أمة أخـرجت لـلنـاس .. فالـوسط هـو الأعظـم والأكرم والأبـهى والأسمى.. فـأوسط كل شىء أعـظمه .. وأعظم كـل شىء أوسطه .. فأسـمى ما فى الـسماء وأجمـل ما فـى السمـاء .. وأوسط مـا فى السـماء .. الـقمـر .. ولذلك فـهو وسـط.. وسط النـجوم.. وسـط السـماء .. فـأوسط كـل شىء أجـمله وأعظـمه .. فـالوسـط هو الأعـظم والأفضـل.. والأتم .. والأكمل .. والأمـثل .. والأول.. وليـس المتوسـط.. فأجمـل خرزات العقد خرزة الوسط .. وأحـلى حبات القلادة حبة الوسط .. وأجمل مـا فى الزهرة أوسطها .. فكما أن القمر وسط النجوم فى السماء .. أنتم وسط الأمم يوم القيامة .. كالعروس وسط المهنئين .. المباركين ..

﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أى : لتشهدوا على الأمم يوم القيامة : أن رسلهم بـلغتهم .. ويشهد عليكم الرسول أنه بلـغكم .. فقد روى البخارى .. أن رسول الله ﷺ قال : « يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة : فيقول : لبيك وسعديك يا رب.. فيقول : هـل بلغت ؟ فيقـول : نعم ! فيقال لأمتـه .. هل بلغكم ؟ فـيقولون : ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ . فيقـول الله تعـالى لنوح علـيه السلام : مـن يشهد لك؟ فـيقول نوح عـليه السلام : محمد ﷺ وأمته .. فيشهدون : أنـه قد بلغ .. فذلك قوله تعالى : ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ .

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَا﴾ أى : مـا أمـرناك بالتـوجـه إلى بيت المقـدس ثم صرفناك عنها إلى الكعبة المشـرفة .. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ : أى إلا لنخـتبر إيمـان الناس .. فنعلم من يصدق الرسول ومن يشـكك فى الـدين .. ويعود إلـى الكفـر..

---

(١) سورة البقرة اية ١٤٢-١٤٤.

﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ : أى وإن كان هذا التحويل لشاقاً وشديداً إلا على الذين هدى الله قلوبهم للإيمان .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أى ما صح ولا استقام أن يضيع الله صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليها ، وذلك حين سألوه ﷺ : عمن مات وهو يصلى إلى بيت المقدس .. فقد كان النجاشى ملك الحبشة يصلى إلى بيت المقدس وهو لا يعلم بتحويل القبلة ..فلما مات .. نزل جبريل عليه السلام على النبى ﷺ وأخبره بموته .. فقال الرسول ﷺ لأصحابه : إن أخاً لكم قد مات فصلوا عليه .. قالوا : كيف نصلى على رجل من أهل الكتاب يا رسول الله ؟! فنزل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾(1) فقالوا : إنه كان لا يصلى إلى القبلة يا رسول الله .. فنزل قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(2)

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليل للحكم .. أى : إنه تعالى عظيم الرحمة بعباده . شديد الرأفة بهم .. لا يضيع أعمالهم الصالحة التى فعلوها ..

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ أى كثيراً ما رأيناك تردد بصرك يا محمد جهة السماء تشوقاً لتحويل القبلة ..

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ أى : فلنوجهنك إلى قبلة تحبها .. وهى الكعبة .. قبلة أبيك إبراهيم عليه السلام .

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أى : توجه فى صلاتك نحو الكعبة المشرفة ..

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أى : حيثما كنتم أيها المؤمنون فتوجهوا فى صلاتكم نحو الكعبة ..

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أى : وإن اليهود والنصارى ليعلمون أن هذا التحويل للقبلة حق من عند الله ، ولكنهم يفتنون الناس بإلقاء الشبهات..

(1) سورة آل عمران آية ١٩٩.
(2) سورة البقرة آية ١١٥.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أى : لا يخفى عليه شىء من أعمالهم وسيجازيهم عليها .. وفيه تهديد ووعيد لهم .. وعن نويلة بنت مسلم قالت : صلينا العصر فى مسجد بنى حارثة.. فاستقبلنا بيت المقدس .. فصلينا ركعتين .. ثم جاء من يحدثنا أن النبى ﷺ قد استقبل المسجد الحرام .. فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .. فصلينا السجدتين الباقيتين .. ونحن مستقبلون البيت الحرام.. فقال الرسول ﷺ «أولئك قوم يؤمنون بالغيب ..»

فتوى القلب

يا من تؤمن بالغيب	وتقول المولى حسبى[1]
أنى جاءتك الفتوى	خير الفتوى فى اللب
تستفتى أو لا تفتى	خذ فتواك من القلب
وإذا ما قلبك أفتى	يفتى بشريعة ربى
هذا حق فاتبعه	لترى النور بلا ريب
حقاً لا باطل فيه	فلتتبعه بالغيب

هذا .. وهناك من الفوائد ما نؤثر ذكره باختصار فى مثل هذه الذكرى العطرة:

أولاً: لقد كان تحويل القبلة فى ليلة النصف من شعبان..

ثانيا: لقد أخبرنا الرسول ﷺ بما سيقوله السفهاء.. قبل أن يقولوه .. وكان هذا من معجزاته ﷺ فى هذا الشهر المبارك شهر شعبان .. فلقد أراد الله أن يُسرى بها عن رسوله ﷺ لما يلاقيه من أذى .

ثالثاً : لقد سخر اليهود من النبى ﷺ عند تحويل القبلة .. وقالوا : لقد اشتاق محمد إلى مسقط رأسه .. وغداً يعود إلى دين قومه .. كما قالوا من قبل لقد اتبع محمد قبلتنا .. وغداً يتبع ملتنا ..

رابعاً : لقد كان الرسول ﷺ يصوم من شعبان أكثر مما يصوم فى غيره .. فقد سألته السيدة عائشة – رضى الله عنها– وقالت له : يا رسول الله .. أراك تصوم فى شعبان ما لم تصم من

---

(١) من شعر المؤلف .

غيره ؟! فقال لها الرسول ﷺ : « هذا شهر يغفل الناس فيه بين رجب ورمضان .. وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله .. فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم .. »

خامساً: هذا وقد ورد عنه ﷺ أنه قال : رجب شهر الله .. وشعبان شهرى .. ورمضان شهر أمتى» فشعبان إذن شهر المصطفى ﷺ

شعبان شهر المصطفى   شهر الهداية والصفا

بحر السماحة والندى   وسنا المحبة والوفا

يأتى مقدمة الهدى   كى نستعد ونشرفا

فإذا أتى شهر المنى   أجلى إلينا الموقفا

سبحت تراويح الرضا   فختمت فيه المصحفا

أى: تصفو نفوس الناس فيه لاستقبال شهر رمضان..

سادساً: أما عن سبب تسمية شعبان بشعبان .. فذلك لتشعب النباتات فيه بانقسام الجذع إلى فروع كثيرة . كما سمى شعبان بشعبان .. لتشعب الخيرات والإحسان .. فيه من رجب إلى رمضان ..

سابعاً : كما سميت ليلة النصف من شعبان بليلة «عيد الملائكة».. فإن للملائكة فى السماء عيدين .. كما أن للمؤمنين فى الأرض عيدين .. فعيد الملائكة فى السماء «ليلة القدر» وليلة «النصف من شعبان» وعيد المؤمنين فى الأرض «عيد الفطر» «وعيدالأضحى» ولذلك سميت ليلة النصف من شعبان «بليلة عيد الملائكة».. كما ذكر السبكى فى تفسيره: إن إحياء:

(*) ليلة الجمعة تكفر ذنوب الأسبوع.

(*) وليلة النصف من شعبان تكفر ذنوب العام .

(*) وليلة القدر تكفر ذنوب العمر .

لله المشرق والمغرب

يقول تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1] فقد ظل المسلمون يتوجهون شطر بيت المقدس بضعة عشر شهراً .. وكان الرسول ﷺ قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس .. فكان وهو بمكة يصلى بين الركنين .. فلما هاجر إلى المدينة .. كان لابد أن يستدبر القبلة .. فكره رسول الله ﷺ ذلك وظل يتضرع إلى الله شوقاً إلى البيت الحرام .. فاستجاب الله دعاءه.. فقد روى البخارى عن البراء (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس بضعة عشر شهراً .. «نحو عام ونصف عام » وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت .. وأنه صلى أول صلاة صلاها .. صلاة العصر .. وصلى معه قوم .. فخرج رجل ممن صلى معه .. فمر على أهل مسجد وهم راكعون .. فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة.. فداروا كما هم .. واستقبلوا المسجد الحرام .. فسمى «مسجد القبلتين» .

أولى وثانى القبلتين[2]	لله رب المشرقين
وجهتنا يارب فيها	بالهداية مرتين
شرقاً وغرباً بالهدى	لا فرق بين الوجهتين
فى مسجد زان المساجد	كلها لا مسجدين
فسجدت فيه سجدتين	وركعت فيه ركعتين
كل المساجد قبلة	مالى أراك بقبلتين
كل المساجد حرمة	ما لى أراك بحرمتين
ماذا جمعت من الرضا	حتى تنال الحسنيين
ماذا جمعت من الهدى	حتى تحوز المشرقين
يا مسجداً لله قد	جمع الهدى فى وجهتين

عندئذ قالت اليهود .. وهم السفهاء: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أى ما لهؤلاء يستقبلون الصخرة تارة والمسجد تارة فأنزل الله قوله تعالى : ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: أى الحكم والأمر كله لله .. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[3] فالعبرة ليست فى الجهات المشرق والمغرب .. كلا ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ

(١) سورة البقرة آية (١٤٤). (٢) من شعر المؤلف . (٣) سورة البقرة آية (١١٥).

بالله وَالْيَوْمِ الآخرِ وَالْمَلائكَة وَالْكتَاب وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّه ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائلِين وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1] أي: الشأن كله فى امتثال أوامر الله .. فحيثما وجهنا توجهنا .. فالطاعة فى امتثال أمره .. ولو وجهنا فى كل يوم مرات ومرات .. إلى جهات وجهات .. فنحن عبيده.. وتحت تصرفه .. حيثما وجهنا توجهنا .. فالعبرة ليست فى المكان والجهة .. يميناً أو شمالاً .. شرقاً أو غرباً .. شمالاً أو جنوباً .. وإنما العبرة فى طاعته .. وامتثال أوامره .. فالعبرة فى الطاعة .. والطاعة المطلقة . وإنه سبحانه وتعالى له بعبده ورسوله ﷺ وأمته العناية العظمى . إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم .. وخصهم بهذا الفضل العظيم .. والمجد القديم ..

هذا ..

وقد روى الإمام أحمد - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال فى أهل الكتاب :

«إنهم لا يحسدوننا على شىء .. كما يحسدوننا:

(*) على يوم الجمعة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها ..

(*) وعلى القبلة التى التى هدانا الله إليها وضلوا عنها ..

(*) وعلى قولنا خلف الإمام آمين ..»

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أى : حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .. واخترناها لكم .. لنجعلكم خيار الأمم .. لتكونوا شهداء على الأمم يوم القيامة .. لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والسبق.. والوسط هنا الخيار والأجود والأفضل.. فأوسط كل شىء أعظمه .. وأعظم كل شىء أوسطه كما يقال : قريش أوسط العرب نسباً .. أى : خيرهم .. وكما يقال : كان محمد ﷺ وسطاً فى قومه .. أى أشرفهم نسباً .. ومنها الصلاة الوسطى .. التى هى أفضل الصلوات وهى العصر وكما جعل الله هذه الأمة وسطاً .. خصها بأكمل الشرائع .. وأقوم المناهج وأوضح المذاهب: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٧). (٢) سورة الحج آية (٧٨).

ويقول تـعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

شهداء الأمم

فعن جابر – رضى الله عنه قـال : قال رسول الله ﷺ : «أنا وأمـتى يوم القيامـة على كوم مشرفين على الخـلائق .. ما من الناس أحد إلا ود أنه منا .. وما من نبى كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل ..»

ثم يقول جابر – رضى الله عنه : شهد رسـول الله ﷺ جنازة .. وكنت إلى جانبه.. فقال أحدهم : واللـه يا رسول الله : نعم الـرجل كان .. لقد كان عـفيفاً مسلمـاً .. وكان .. وأثنوا عليه خيراً .. فقال رسـول الله ﷺ : أنت بما تقول ..فقال الرجل : الله أعلـم بالسرائر .. فأما الذى بدا لى منه فذاك . فقال الرسول ﷺ : وجبـت.. أى وجبت له الجنة . ثم شهد النبى ﷺ جنازة وكنت إلى جانبه .. فقال أحدهم : واللـه يا رسول الله بئس الرجل كان .. إن كان لفظاً غليظاً وكان .. فأثنوا عليه شراً.. فقال رسـول الله ﷺ : أنت بالذى تقول .. فقال الرجل : الله أعلم بـالسرائر .. فأما الـذي بدا لى منه فذاك.. فـقال الرسول ﷺ : وجبت .. أي وجـبت له النار .. أنتم شهداء الأمة.. فأيـما مسلم شهد له أربعة بخير.. أدخله اللـه الجنة .. قال: فقلنا وثلاثة .. قال: وثلاثة .. قال: فقلنا واثنان .. قال : واثنان ثم لم نسأله عن الواحد ..

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أى : إنما شرعنا لـك يا محمد التوجه إلى بيت المقدس .. ثم صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما نوجهك .. ممن ينقلب على عقبـيه ويعود إلى الكفر بعد الإيمان .. وإن كان هذا التحويل لـكبيراً وعظيماً فى نفوس ضعاف الإيمان اللهم إلا الذين هدى الله قلوبهم .. وشرح صدورهم إلى الإيمان.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أى : بتصديقكـم نبيكم .. واتباعكم له فـى القبلة الأولى إلى بيت المقدس .. وفى القبلة الثانية إلى الكـعبة .. لتفوزوا بالأجرين معاً .. أجر التصديق.. وأجر الاتباع .. أجر القبلتين .. الأولى والثانية .. إلى المسجد الأقصى والمسجد الحرام ..

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أى : أنه تعـالى : عظيـم الرحمة بـعباده .. شديـد الرأفة والشفقة بهم .. أرحم بهم من الأم بولدها ..

فقد رأى رسول الله ﷺ امرأة مـع الأسرى فقدت طفلها .. وظلت تبحـث عنه .. وكلما

وجدت طفلاً احتضنته وقبلته وألقمته ثديها .. فقال رسول الله ﷺ أترون هذه المرأة تلقى ولدها فى النار ..؟! قالوا : لا يا رسول الله .. قال : والله لله أرحم بكم من هذه المرأة بولدها .

هذا .. وإيجازاً لما تقدم نقول : زعم اليهود والنصارى أن إبراهيم والأنبياء معه .. كانوا يهوداً أو نصارى.. وقد كانت قبلة الأنبياء بيت المقدس.. وكان صلوات الله وسلامه عليه وهو بمكة يستقبل بيت المقدس .. فلما أمر ﷺ بالتوجه إلى الكعبة المشرفة طعن اليهود فى رسالته .. واتخذوا ذلك ذريعة للنيل من الإسلام .. وقالوا : لقد اشتاق محمد إلى مسقط رأسه .. وعما قريب يرجع إلى دين قومه . لقد اتبع محمد قبلتنا .. وغداً يتبع ملتنا .. هذا.. وقد أخبر الله رسوله ﷺ بما سيقول السفهاء .. ولقنه الحجة الدامغة ليرد عليهم .. ويوطن نفسه على تحمل الأذى منهم .. عند مفاجأة المكروه.. وكان هذا الإخبار .. قبل تحويل القبلة معجزة له عليه الصلاة والسلام .. فقد أخبره الله تعالى .. بما سيقول السفهاء .. قبل أن يقوله السفهاء .. وكان هذا تهكماً بهم وازدراء .. فلو كان عندهم فطنة أو ذكاء .. لما افتروا هذا الافتراء .. وسكتوا ليثبتوا كذب هذا الادعاء .. ولكنه الجهل والغباء

واهـــا

واهاً لوجهك يا محمد واها	فرش السماء كواكباً وكساها
فلقد تقلب فى السماء تضرعا	يبغى التحول هائماً لسواها
فاصبر كما صبر الكبار عزيمة	ونولينك قبلة ترضاها
إن كنت آخر كوكب فى أرضه	فلأنت أول كوكب بسماها

من أسماء ليلة النصف من شعبان

هذا وإن لليلة النصف من شعبان أسماء كثيرة منها : ليلة التكفير ، وليلة الحياة ، وليلة الشفاعة ، وليلة المغفرة ، وليلة العتق ، وليلة القسمة والتقدير .

(١) ليلة التكفير :

لما رواه السبكى فى تفسيره : أنها تكفر الذنوب .. فقال : إن إحياء ليلة الجمعة .. تكفر ذنوب الأسبوع ، وإن إحياء ليلة النصف من شعبان .. تكفر ذنوب العام .. وإن إحياء ليلة القدر .. تكفر ذنوب العمر .. فلذلك سميت بليلة التكفير .

(٢) ليلة الحياة :

وذلك لما رواه المنذرى مرفوعاً : من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب .

(٣) ليلة الشفاعة :

لما روى أنه ﷺ سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر من شعبان الشفاعة فى أمته .. فأعطاه الثلث.. وسأله ليلة الرابع عشر فأعطاه الثلثين .. وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع .. إلا من شرد على الله شراد البعير يعنى : من فر من الله وتباعد عنه بالإصرار على المعصية.

(٤) ليلة المغفرة :

لما رواه الإمام أحمد- رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان إلى عباده .. فيغفر لأهل الأرض إلا رجلين .. مشرك أو مشاحن .

(٥) ليلة العتق :

لما روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك .. قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى منزل عائشة - رضى الله عنها- فى حاجة فقلت لها : أسرعى فإنى تركت النبى ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان .. فقالت : يا أنس : اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان.. تلك الليلة كانت ليلتى من رسول الله ﷺ فجاء ودخل معى فى لحافى فانتبهت من الليل .. فلم أجده .. فقلت : لعله ذهب إلى جاريته القبطية .. فخرجت .. فمررت فى المسجد .. فوقعت رجلى عليه .. وهو يقول : «سجد لك سوادى .. وخيالى .. وآمن بك فؤادى .. وهذه يدى وما جنيت بها على نفسى .. يا عظيماً يرجى .. لكل عظيم .. اغفر الذنب العظيم.. سجد وجهى للذى خلقه وصوره .. وشق سمعه وبصره..» ثم رفع رأسه .. فقال : «اللهم ارزقنى قلباً تقياً نقياً من الشرك برياً .. لا كافراً ولا شقيًا» ثم عاد ساجداً .. فسمعته يقول : «أعوذ برضاك من سخطك .. وبعفوك من عقوبتك .. وبك منك .. لا أحصى ثناء عليك .. أنت كما أثنيت على نفسك .. أقول .كما قال أخى داود .. أعفر وجهى فى التراب لسيدى .. وحق أن يعفر لوجه سيدى» ..

ثم رفع رأسه فقلت : بأبى أنت وأمى.. أنت فى واد .. وأنا فى واد .. فقال : يا عائشة : «أما تعلمين أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان » إن لله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من

النار بعدد شعر غنم بنى كلب إلا ستة نفر : لا مدمن خمر ، ولا عاق لوالديه ، ولا مصر على زنا ، ولا مساوم ، ولا مضرب ، ولا قتات ، وفى رواية مصور بدل مضرب..

(٦) ليلة القسمة والتقدير :

وهى الليلة التى يقدر الله فيها تعالى أعمار الخلائق من شعبان إلى شعبان لما روى عطاء بن يسار : «إذا كانت ليلة النصف من شعبان نسخ لملك الموت كل من يموت من شعبان إلى شعبان ، وإن العبد ليغرس الغرس ، وينكح الأزواج .. ويبنى البنيان ، وإن اسمه قد نسخ فى الموتى .. وما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه».

ليلة النصف

يا ليلة النصف ... يا ليلة العطف
يا ليلة كانت ... أمناً من الخوف
بالحب والنجوى ... والستر واللطف
والعتق والمأوى ... والحب ذى العصف
فردوسنا الأعلى ... ما زال كالطيف
أملاً يراودنا ... وحقيقة تشفى
والحق نعرفه ... قطعاً بلا زيف
نوراً وإيماناً ... فالحق كالسيف
والحق محتاجٌ ... لسياجه العرفى
بالقوة العظمى ... فالحق لا يكفى
فادعوا لنصرته ... يأتوك بالألف
كلٌّ على حدة ... صفاً ورا صف
ويجيب لا يأبى ... ويقر لا ينفى
فلتستجب واعمل ... فالعذر لا يعفى
ما أنت فى الدنيا ... هذى سوى ضيف
مهما وصفت له ... وصفاً على وصف
ما اجتزت خردلة ... من ليلة النصف
يا ليلة النصف ... يا ليلة العطف
يا ليلة كانت ... أمناً من الخوف
بالحب والنجوى ... والستر واللطف(*)

(*) من شعر المؤلف.

من الدروس المستفادة

١- كان تحويل القبلة بداية لصقل الشخصية الإسلامية .. التى كان يحرص النبى ﷺ على أن تكون شخصية مستقلة .. حتى لا تذوب وتنزوى بين أصحاب الديانات الأخرى .

٢- كان النبى ﷺ يقصد من تحويل القبلة أن يكون متميزاً عن اليهود فى العبادة .. فهو لا يريد أن يتوجه وجهة يتوجهها اليهود .. لأنهم طعنوا فى ذلك فقالوا : «إن محمداً لم يأت بجديد فى عالم الرسالات .. بدليل أن قبلته هى قبلتنا .. فكيف يخالفنا ويتبع قبلتنا؟»

٣- ولقد كانت القبلة قديماً قبل مبعث الرسول ﷺ هى قبلة أبى الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهى الكعبة .. ففى تحويله إليها .. جاذبية للعرب جميعاً بمكة وما حولها للدخول فى الإسلام .. وهم من عاداتهم تعظيم الكعبة دائماً .. ويزداد تعظيمها فى الأشهر الحرم .. فإذا حدث التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة .. ازداد التعلق بدين الإسلام .. وكان العرب على ما فيهم من وثنية يكرهون الاقتداء باليهود .. لذا تطلعت نفس الرسول ﷺ أن يفرق بينه وبين اليهود فى العبادة .. وأن يزيل اللبس بينه وبينهم فى الصلاة، وحقق الله تعالى له ما تمناه : فنزل قوله تعالى بالأمر بالتحويل : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

٤- إن الصلاة فى ذاتها صلة بين العبد وربه .. وهى رابطة روحية خالصة تشد المؤمن بقوة إلى خالقه .. وهى تطهير للروح .. ولعلو مكانتها كانت فرضيتها من فوق سبع سماوات ليلة الإسراء والمعراج فى السنة العاشرة من البعثة.. وبهذا كانت الصلاة معراج المسلم إلى ربه كل يوم خمس مرات .. واستمر التوجه إلى بيت المقدس حتى نزل الأمر الإلهى بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام فى النصف من شعبان .

٥- ولما اقتضت مشيئة الله تعالى أن يخلق الناس لعبادته .. فقد كان من حكمته سبحانه أن يتجه بهم فى عباداتهم إلى قبلة واحدة .. فمن شأن القبلة الواحدة أن توحد مشاعرهم ..

(١) سورة البقرة آية (١٤٤).

فإذا صفوا أقدامهم .. انعكس هذا المشهد الآسر على قلوبهم.. فعاشوا على قلب رجل واحد.

٦- وكان من حكمة التحويل أيضاً أن تكون القبلة هى الكعبة .. البيت الحرام .. لأنها الوسط .. تتجه إليها الأمة الوسط .. ولقد ثبت علمياً أن الكعبة هى مركز الأرض كلها .. أى أنها نقطة الوسط من الدائرة أو مركز الدائرة ..

مكانة المسجد الأقصى

المسجد الأقصى أولى القبلتين .. وثالث الحرمين .. ومسرى رسول الله ﷺ وهو أحد مسجدين اثنين ذكرهما الله صراحة فى القرآن الكريم .. فقد قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[1] وهذا تشريف وتكريم للمسجدين .. كما شرفهما الحديث النبوى الشريف : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى . فالرسول يتحدث عن المساجد الثلاثة ، ذات المكانة والحرمة فى نظر الإسلام والمسلمين أجمعين . وافتتاحية سورة الإسراء تذكرنا بميزة خصها الله تعالى بالمسجد الأقصى .. فقد جعل الله عز وجل شأنه هذا.. بفضله ومنه .. نهاية لرحلة الإسراء فى الأرض وبداية لرحلة المعراج فى السماء .. ثم جعله مرة ثانية نهاية لرحلة العودة من المعراج وبداية لرحلة العودة من الإسراء .. والحكمة التى يمكن استنباطها من ذلك أن الله تعالى يقول لعباده : إن هذه البقعة التى يوجد بها المسجد الأقصى الذى باركنا حوله هى من صميم أرض الإسلام .. فلا يجوز لهم بحال من الأحوال أن يتهاونوا فى أمرها .. أو يستخفوا بمكانتها أو ينشغلوا عن حمايتها.

دعاء ليلة النصف من شعبان

إن ليلة النصف من شعبان يستحب إحياؤها بالطاعة : كالذكر والتهجد والدعاء والاستغفار على الوجه المشروع كغيرها من الليالى .. لأن قيام الليل مستحب فى جميع ليالى العام ..

---

(١) سورة الإسراء آية (١)

وليلة النصف من شعبان قد وردت بعض الأخبار التى تفيد أن النبى ﷺ يحييها ويصلى فيها ويدعو ربه أثناءها ..

ويجب التنبيه: إلى أن كل ما يفعله بعض الناس من دعاء خاص بهذه الليلة .. لا دليل لصحته .. ولكن يجب الدعاء بما هو مأثور عن الرسول ﷺ .. لما ورد عنه ﷺ : الدعاء مخ العبادة .. كما أنه لم يرد نص .. ولم يصح حديث فى صوم النصف من شعبان .. ولا السابع والعشرين من رجب ، ولا الثانى عشر من ربيع الأول .. كما منع الإسلام من صوم العيدين، ويوم الشك .. وأيام التشريق الثلاثة.. وإن ذكر بعض مشايخنا :

إنه من شرف هذه الليلة أن نزل فيها قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وملائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(١) وإن لم أجد له دليلاً.

التقى القمران

انتصف شعبان .. والتقى القمران.. قمر السماء وقمر الأرض .. واستبشرت النجوم .. وزغردت الكواكب .. وازدانت الحدائق بالزنابق .. وخرجت المواكب من كل حدب وصوب .. وعلى كل جانب .. وسبق الماشى الراكب .. وتاب العاصى .. وخشع التائب .. وفى ظلمة الليل الحالك .. يبزغ النجم الثاقب .. وينزل الوحى على طه .. ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وجْهِك فِي السَّماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها﴾(٢)

واها لوجهك يا محمد واها ... فرش السماء كواكبا وكساها
فلقد تقلب فى السماء تضرعاً ... يبغى التحول هائماً لسواها
فاصبر كما صبر الكبار عزيمة ... ونولينك قبلة ترضاها(٣)

وسمى شعبان .. بشعبان لتشعب الخيرات فيه بين رجب ورمضان .. وكان النبى ﷺ يصومه إلا قليلاً .. ولما سألته السيدة عائشة عن هذا .. قال إنه شهر يغفل الناس فيه بين رجب ورمضان .. وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم .. وكان يقول ﷺ : «رجب شهر الله .. وشعبان شهرى .. ورمضان شهر أمتى..»

(١) سورة الأحزاب آية (٥٦).
(٢) سورة البقرة آية (١٤٤).
(٣) من شعر المؤلف.

وفى ليلة النصف من شعبان تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام .. فقد توجه المسلمون شطر بيت المقدس بضعة عشر شهراً .. وكان الرسول ﷺ قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس .. فكان وهو بمكة يصلى بين الركنين .. فلما هاجر إلى المدينة كان لابد أن يستدبر القبلة فكره ذلك .. وظل يتضرع إلى الله شوقاً إلى البيت الحرام .. فاستجاب الله دعاءه .. ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وكانت أول صلاة صلاها هى العصر .. وصلى خلفه المسلمون وخرج رجل ممن صلوا معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد الله أنى صليت مع النبى ﷺ إلى البيت الحرام .. فداروا كما هم واتجهوا إليه ..فسمى مسجد القبلتين !!

(*) إنها ليلة النصف من شعبان.. ليلة عيد الملائكة.. فإن للملائكة فى السماء عيدين .. كما أن للمؤمنين فى الأرض عيدين .. عيد الفطر وعيد الأضحى .. كذلك للملائكة عيد ليلة النصف من شعبان وعيد ليلة القدر .. ولهذا سميت ليلة النصف من شعبان بليلة عيد الملائكة ..

(*) كما ذكر السبكى فى تفسيره : أنها ليلة تكفير الذنوب .. فإن إحياء ليلة الجمعة تكفر ذنوب الأسبوع وليلة النصف من شعبان تكفر ذنوب العام .. وليلة القدر تكفر ذنوب العمر ..

(*) كما تسمى ليلة الحياة .. لما رواه المنذرى مرفوعاً : من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب .

(*) كما تسمى ليلة الشفاعة .. لما روى أنه ﷺ سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة فى أمته .. فأعطاه الثلث .. وسأله ليلة الرابع عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع .. إلا من شرد على الله شراد البعير .. أى بالإصرارعلى المعاصى .

(*) كما تسمى ليلة المغفرة لما رواه الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان إلى عباده فيغفر لأهل الأرض إلا رجلين مشرك أو مشاحن ..

(*) كما تسمى ليلة العتق لما رواه ابن إسحاق عن أنس بن مالك -رضى الله عنه - قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى منزل عائشة - رضى الله عنها- فى حاجة فقلت لها : أسرعى فإنى تركت النبى ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت : يا أنس اجلس حتى

أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان .. تلك الليلة كانت ليلتى من رسول الله ﷺ فجاء ودخل معى فى لحافى .. فانتبهت من الليل فلم أجده .. فقلت لعله ذهب إلى جاريته القبطية.. فخرجت فمررت فى المسجد فوقعت رجلى عليه وهو يقول: سجد لك سوادى وخيالي .. وآمن بك فؤادى .. وهذه يدى وما جنيت بها على نفسى .. يا عظيماً يرجى لكل عظيم .. اغفر الذنب العظيم .. سجد وجهى للذى خلقه وصوره .. وشق سمعه وبصره .. ثم رفع رأسه .. فقال: «اللهم ارزقنى قلباً نقياً تقيًا .. من الشرك بريأ .. لا كافراً ولا شقياً .. ثم عاد ساجداً .. فسمعته يقول : «أعوذ برضاك من سخطك.. .. وبعفوك من عقوبتك .. وبك منك .. لا أحصى ثناء عليك .. أنت كما أثنيت على نفسك .. أقول كما قال أخى داود : أعفر وجهى فى التراب لسيدى .. وحق لوجه سيدى أن يعفر .. ثم رفع رأسه .. فقلت : بأبى أنت وأمى .. يا رسول الله.. أنت فى واد .. وأنا فى واد .. فقال : يا حميراء .. أما تعلمين أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان وإن لله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب .. إلا ستة نفر : لا مدمن خمر ، ولا عاق لوالديه .. ولا مصر على زنا .. ولا مساوم .. ولا مضرب .. ولا قتات .. وفى رواية مصور بدل مضرب..

(*) وتسمى ليلة القسمة والتقدير .. لما روى عطاء بن يسار : إذا كانت ليلة النصف من شعبان نسخ لملك الموت كل من يموت من شعبان إلى شعبان وإن العبد ليغرس الغرس.. وينكح الأزواج.. ويبنى البنيان .. وإن اسمه قد نسخ فى الموتى .. وما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه.. وبهذا يكون لليلة النصف من شعبان سبعة أسماء .. تغلق أبواب النار السبعة فمن أحياها أغلقت أبواب النار دونه .. هذا ولم يرد نص صحيح.. ولا قول صريح .. بشأن صيام نهارها .. شأنها شأن ليلة الإسراء ..

شهر رمضان

﴿ شَهْرُ رمضان الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾

سورة البقرة آية (١٨٥)

استقبال شهر رمضان

يقول تعالى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١)

ويقول الهادى البشير ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢)

يا مرحبا بك كل عام	يا مرحباً شهر الصيام
يا ليت يا شهر الهدى	لو تستمر على الدوام
وتكون شهراً كل شهر	ليس شهراً كل عام
فيك الليالى مشرقات	بالسماحة والسلام
رمضان عند الله مثل	المصطفى بين الأنام
هو فى الشهور كيوسف	ما بين إخوته الكرام
صلوا على شهر الهدى	صلوا على مسك الختام
أزكى الصلاة عليك يا	رمضان بل أزكى السلام
رمضان جوهرة الشهور	ودرة فى كل عام
رمضان يشفع فى	الخلائق كلها يوم الزحام
هو فى السموات العلا	مثل الملائكة الكرام
هو من ملائكة السما	أما الشهور من الأنام
رمضان عند الله من	أسمائه الحسنى العظام
من صامه لله كان	مآله دار السلام
وعلى رضا ألبسته	تاج الوقار والاحتشام
كل الشهور تجمعت	من يومها خلف الإمام
حتى تصلى يا كريم	بهم هنا عند المقام
فى خير أرض الله ركعات	التهجد والقيام

(١) سورة البقرة آية ١٨٣-١٨٤.

(٢) رواه مسلم وغيره.

يــا مــرحــبـاً بــك كــل عــام ــــ يــا مــرحـبـاً شــهـر الـصــيــام
يــا لـيــت يــا شــهـر الــهــدى ــــ لــو تــسـتـمــر عــلــى الـدوام
وتــكــون شــهــراً كــل شــهـــر ــــ لــيـــس شــهــراً كــل عــام[1]

حرمان مشروع

والصوم حرمان مشروع .. وتأديب بالجوع .. وخشوع لله وخضوع .. فلكل فريضة حكمة .. وهذا الحكم ظاهره العذاب .. وباطنه الرحمة .. يستثير الشفقة .. ويحض على الصدقة .. ويكسر الكبر .. ويعلم الصبر .. ويسن خلال البر .. حتى إذا جاع من ألف لشبع.. وحرم المترف ..أسباب المتع .. عرف الحرمان كيف يقع .. والجوع كيف ألمه إذا لذع . فعلى المسلم أن يصوم هذا الشهر ولا يفطر فيه دون عذر لأنه من أفطر يوماً بغير عذر.. فلا يكفيه صيام الدهر كله وإن صامه .. ومن صام يوماً لله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً.. والصيام جنة .. أي: وقاية .. والصيام قد جعله الله له حيث يقول تعالى في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به..»

أي : كل عمل ابن آدم له حظ منه يتعجل ثوابه في الدنيا إلا الصيام فهو خالص من الرياء..فقد يراك الناس وأنت تصلي .. ويراك الناس وأنت تزكي .. ويراك الناس وأنت تحج ولكن لا يراك أحد وأنت صائم .. لهذا كان الصوم بينك وبين الله .. لذلك قال تعالى : «فإنه لي وأنا أجزي به..»

هذا .. وأحذرك أن تكون مثل هذا الرجل الذي ذهب إلى يهودي ليقترض منه مالاً .. وكان ذلك في رمضان على أن يرده إليه في شوال .. فقام اليهودي وأحضر بعض الحلوى وقدمها للرجل .. فقال الرجل: نحن في رمضان وأنا صائم.. قال اليهودي: لن أقرضك مالاً.. حتى تأكل من هذه الحلوى.. فأكل الرجل الحلوى.. وأفطر في نهار رمضان من أجل الدنيا .. ثم تقدم من اليهودي .. وقال له : أقرضني المال إذن .. فضحك اليهودي .. ضحكة خبيثة ثم قال له : ما ذا تريد؟ قال : أريد مائة دينار على أن أردها إليك في شوال .. فقال اليهودي : كيف آمنك على مالي وأنت خائن ؟ .. قال له : أنا لست خائناً .. قال اليهودي لقد ائتمنك الله على صيام رمضان .. فأفطرت .. فإن كنت تخون الله في رمضان .. فكيف

---

(1) من شعر المؤلف.

آمنك على مالى فى شوال ؟ اغرب عن وجهى أيها الرجل .. فلا مال لك عندى .. فخرج الرجل هائماً على وجهه .. قد خسر الدنيا والآخرة ..

يموت الحر جوعاً لا يبالى	ويحفظ دينه فى كل حال
ويجزع إن أصاب الدين شك	ولا يعبأ إذا فقد الغوالى
ويشرى نفسه من غير خوف	وقد باع الحياة بغير مال
وقد يغلو الرخيص بذل نفس	ويرخص فى سبيلك كل غال(*)

وكما حذرتك أن تكون مثل ذاك الرجل .. الذى أفطر فى نهار رمضان .. وهو يصوم فرضاً .. من أجل الدنيا .. أدعوك أن تكون مثل هذا الرجل الذى أبى أن يفطر فى نهار شوال وهو يصوم تطوعاً .. من أجل الله تعالى .

ففي ذات يوم شديد الحر خرج الحجاج الثقفى .. وقد أعدت له الموائد من شتى الألوان والأصناف « فقال : اطلبوا من يأكل معى.. فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابياً .. فجاءوا به فقال الحجاج : هلم أيها الأعرابى لتأكل معى ..

فقال الأعرابى : لقد دعانى من هو أكرم منك فأجبته..

فقال الحجاج : من هو ؟

فقال الأعرابى : لقد دعانى الله تعالى إلى الصيام فأنا صائم..

قال الحجاج : أصوم فى مثل هذا اليوم على حره ؟

قال الأعرابى : لقد صمته ليوم أشد منه حراً .

قال الحجاج : أفطر اليوم وصم غداً..

قال الأعرابى: وهل يضمن لى الأمير أن أعيش إلى الغد ..؟

قال الحجاج : ليس ذلك لى .. إن علم ذلك عند ربى ..

قال الأعرابى : فكيف تسألنى عاجلاً بآجل ليس لى إليه من سبيل ؟

قال الحجاج : إنه طعام طيب ..

قال الأعرابى : والله ما طيبه خبازك ولا طباخك .. ولكن طيبته العافية ..

(*) من شعر المؤلف.

قال الحجاج : والله ما رأيت أحداً أعظم منك منطقاً .. بارك الله فيك وجزاك عنى خيراً وأمر له بجائزة ثمينة ..

وأبى الأعرابى أن يفطر على مائدة الحجاج الثقفى رغم عنفوانه وسلطانه وجبروته وأصر على موقفه وثبت عليه ، فاحترم الحجاج شجاعته . وأثابه على ذلك.. فسبحان الله !!

انظر إلى هذين الرجلين ..

رجل باع دينه بدنياه .. وأفطر فى نهار رمضان .. وهو يصوم فرضاً من أجل الدنيا فخسر الدنيا والآخرة .. ولم ينل رضا الله .. ولم ينل رضا الناس .. وحرم من رزقه فى الدنيا وحرم من رزقه فى الآخرة .. فإن العبد ليمنع الرزق بالذنب يصيبه .. ورجل باع دنياه بأخراه .. وأبى أن يفطر فى نهار شوال .. وهو يصوم تطوعاً من أجل الله تعالى .. فربح الدنيا والآخرة .. ونال رضا الله .. ونال رضا الناس .. ونال رزقه فى الدنيا بجائزة ثمينة من الحجاج .. ونال رزقه فى الآخرة بفوز من الله ورضوان..

إن فضل الله تعالى لا يدرك بالمعاصى .. وإنما يدرك بالطاعات .. لأن الله تعالى فى يده القلوب جميعاً فيفتحها لهذا .. ويغلقها عن ذاك .. فتعلق بالله تعالى ولا تتعلق بالناس .. فإنك إن تعلقت بالله تعالى جعل الله تعالى الناس فى يديك .. وإن تعلقت بالناس جعلك الله فى أيديهم..

فاعمل لوجه واحد يكفك شتى الوجوه .. واعمل للخالق يكفك الخلق .. واعمل لله يكفك ما سواه ..

واعلم أن الأمور تجري بالمقادير .. فاطلبوا حوائجكم بعزة النفس فإن الأمور تجرى بالمقادير .. اطلبوا حوائجكم بعزة وشموخ.. دون رضوخ .. فإن الأمور تجرى بالمقادير دون تقصير أو تقتير ..

يا مرحباً بك كل عام	يا مرحباً شهر الصيام
يا ليت يا شهر الهدى	لو تستمر على الدوام
وتكون شهراً كل شهر	ليس شهراً كل عام

أيامه عقد من الأحلام	في جيد الأنام
حور لياليه الحسان	وقاصرات في الخيام
يأتي ويمضي مسرعاً	وكأنه رؤيا منام
يأتي بروح هائم	ويفي بقلب مستهام
يأتي إذا عم الدجى	كالنور في جنح الظلام
فاظفر بضيف طيب	لا يأت إلا كل عام
باب من الريان يسقي	كل مشتاق وظامي
حتى إذا حان الآذان	أتتك زمزم بالطعام
لك فرحتان ففرحة	لك عند إتمام الصيام
والفرحة الكبرى لقاء	الله في دار السلام
يا مرحباً بك كل عام	يا مرحباً شهر الصيام
يا ليت يا شهر الهدى	لو تستمر على الدوام
وتكون شهراً كل شهر	ليس شهراً كل عام

رمضان عاد

يقول تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]

يقول الهادي البشير ﷺ : « الصوم جنة»[2] .. « صوموا تصحوا»[3] .

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٥ ، ١٨٦).

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه مسلم والترمذي .

رمضان عاد وعاد لى عشاقى ... فابعث لكل متيم مشتاق
أخبره أن ولد الهلال معظماً ... شهر الهدى ومكارم الأخلاق
الروح والذكر الحكيم وسبحتى ... وشذى تراويحى وبعض رفاقى
فأتوا خفافاً ثلة فى ثلة ... وادعوا العباد لساحة الرزاق
أنتم هناك على موائد هديه ... وأنا هنا فى روضة الأشواق
والكون بين مهلل ومكبر ... والأرض بين منارة ورواق
خشع الضعيف إلى اللطيف محبة ... وتوجه الفانى لوجه الباقى
ظمأ وجوع بالنهار ورحمة ... والله رب العالمين الساقى
بالليل تسمع صوت كل مسبح ... ومتمتم للمبدع الخلاق
جاءوا جميعاً كالنجوم على يدى ... طوبى لهم فى مقلتى وعناقى
فاخضر غصن الحب فى أصل الهوى ... من صومها وترعرعت أوراقى
رمضان عاد وعاد لى عشاقى ... فابعث لكل متيم مشتاق
أخبره أن ولد الهلال معظماً ... شهر الهدى ومكارم الأخلاق
الروح والذكر الحكيم وسبحتى ... وشذى تراويحى وبعض رفاقى(*)

من عهد نوح

والصوم : جوع فى البطن.. وشبع فى الروح .. وهو عبادة قديمة من عهد نوح .

والصوم فى الشرع : هو الإمساك عن أشياء مخصوصة . على وجه مخصوص . فى زمان مخصوص.. ممن هو على صفات مخصوصة..

ويقول الهادى البشير ﷺ : « لو علمت أمتى ما فى رمضان من الخير لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان» أى : لو علمت أمتى ما فى رمضان.. من الخير والإحسان.. والرحمة والغفران .. والتقوى والإيمان.. والحور والولدان .. والياقوت والزعفران .. والرضا والرضوان .. واللؤلؤ والمرجان.. والخلد فى الجنان.. لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان.

(*) من شعر المؤلف.

لهذا .. أوصيك بالكرم فى هذا الشهر الكريم .. كما أوصاك رسول الله ﷺ بالكرم فيه حيث يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .. فلقد قرن رسول الله ﷺ الكرم بالإيمان.. وخير الكرم ما كان فى رمضان .. فلقد كان رسول الله ﷺ جواداً كريماً وكان أجود ما يكون فى رمضان . فقم إلى ضيفك وأكرمه وأحسن إليه.. فإنه زائر الله إليك

قم إذا ما الضيف جاءك ... وامنح الضيف غداءك
واجل من وجهك مرآة ... يرى فيها صفاءك
إن يهن عندك ضيف ... يكن الخزى جزاءك

هذا.. واعلم أن الضيف يأكل رزقه عندك .. ويشكرك أنت عليه .. ويثيبك الله عليه .. يرفع به درجاتك .. ويبارك به خطواتك .. ويقيل به عثراتك..

لم لا أهش لضيفى المحبوب ممتناً إليه
والضيف يأكل رزقه عندى ويشكرنى عليه

هذا وأوصى الضيف أن يكون ضيفاً خفيفاً.. فإذا طعم فليغادر .. وألا يكون ضيفاً ثقيلاً يكرهه الناس .. وألا يكون عبئاً ثقيلاً .. على كاهل من يستضيفه .. فإن الضيوف كرام خفاف.. فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث .. قد قالها الله تعالى لضيوف النبى ﷺ حين كانوا يذهبون إلى بيوت النبى ﷺ ويطيلون الجلوس عنده قبل أن يطهى الطعام... ثم يطيلون الجلوس عنده بعد تناول الطعام .. مما يضيع وقت النبى ﷺ ويضعه فى حرج . فيستحى أن يأمرهم بالانصراف لخلقه العالى وأدبه الجم .. فقالها الله تعالى عنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[1]فكن ضيفاً خفيفاً .. ولا تكن ضيفاً ثقيلاً:

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٣.

لاتكن ضيفاً ثقيلاً يكره الناس لقاءك

فعساه مستمداً لك من جار عشاءك

وعساه مستعيراً لك من قوم غطاءك

رب من يلقاك هشاً كسر الزير وراءك

هذا..

واعلم أن الصيام نصر فى الدنيا والآخرة.. وكيف لا.. والصيام صبر.. والنصر مع الصبر أما نصر الدنيا فبالتوفيق والسداد وسعة الرزق والبركة فيه.. وأما نصر الآخرة.. فبالمغفرة والرضوان .. ومما يدلنا على ذلك ماورد أن عبد الله بن عمر خرج ذات يوم مع بعض أصحابه فى سفر فأدركهم الجوع فجلسو يأكلون.. فمر عليهم راع غنم.. فنادى عليه عبد الله بن عمر. هلم أيها الراعى لتأكل معنا.. فقال الراعى: إنى صائم.. فقال له عبد الله بن عمر: أصوم فى مثل هذا اليوم الشديد الحر؟ قال الراعى: إنى فى آخر أيامى وإنى أراقب الله بالصيام.. فقال له عبد الله بن عمر: بعنى شاة من غنمك هذا؟ فقال الراعى: إنها ليست لى.. إنها ملك سيدى.. فقال عبد الله بن عمر: أين سيدك؟ بعنيها وسوف أعطيك من لحمها لتفطر عليه وقل لسيدك أكلها الذئب.. فقال الراعى: وأين الله – أين الله.. ماذا أقول لربى؟! فأعجب عبد الله بن عمر بالعبد بالراعى وقال له: أين سيدك.. دلنى عليه.. فدله عليه .. فاشترى عبد الله بن عمر العبد الراعى من سيده.. وأعتقه لوجه الله تعالى.. واشترى الغنم من سيده.. ووهبه له.. لصدقه وأمانته وتقواه..

وظل عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) معجباً بتلك الكلمة «أين الله» وعاش يرددها دائماً.. ويستشهد بها فى أحاديثه «أين الله» كلما تعرض لموقف كهذا..

إن الأمانة كنز بين العباد وحرز

نصر هنا فى الدنيا وعلى القيامة فوز

فاحرص عليها دوماً يحرص عليك العز(*)

(*) من شعر المؤلف.

رمضان عاد

رمضان عاد وعاد لى عشاقى … فابعث لكل متيم مشتاق(*)

أخبره أن ولد الهلال معظماً … شهر الهدى ومكارم الأخلاق

الروح والذكر الحكيم وسبحتى … وشذى تراويحى وبعض رفاقى

هذا لقاء الحب هذا شهره … فاجعل لقاء الله دون فراق

واجعله موصلاً على طول المدى … لاينتهى حتى يطول سباقى

واركب إلى الفردوس كل وسيلة … فالصوم للفردوس خير براق

رمضان صومك فى الحقيقة بلسمى … وقيام ليلك فى الدجى ترياقى

وأحبك الحب الذى لاينتهى … وأقولها والله من أعماقى

فالخير يأتى فى الشهور وينتهى … وأراه عندك دون غيرك باقى

والسعد يشرق فى الوجود هنيهة … وأراه عندك دائم الإشراق

هذا جلال الشهر فى نفحاته … فاظفر ونل من هذه الأرزاق

فلمثل هذا فليبادر خاشعاً … لله كل مجاهد سباق

رمضان عاد وعاد لى عشاقى … فابعث لكل متيم مشتاق

أخبره أن ولد الهلال معظماً … شهر الهدى ومكارم الأخلاق

الروح والذكر الحكيم وسبحتى … وشذى تراويحى وبعض رفاقى

كما كتب على الذين من قبلكم

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ

(*) من شعر المؤلف.

يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(1).

فما هو الصوم..؟

«الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، فلكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب، وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، ويكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف ألمه إذا لذع»(2)

وهو أيضاً..: «جوع فى البطن، وشبع فى الروح، وهو عبادة قديمة من عهد نوح».

وهو أيضاً..: .. ركن من أركان الإسلام، وأحد أعمدته الخمسة التى يقوم عليها هذا الدين الحنيف، فقد بنى الإسلام على خمس:

- شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله
- وإقام الصلاة.
- وإيتاء الزكاة.
- وصوم رمضان.
- وحج البيت من استطاع إليه سبيلا..

والصيام فى الشرع: إمساك عن أشياء مخصوصة، على وجه مخصوص، فى زمان مخصوص، ممن هو على صفات مخصوصة.

يا أيها الذين آمنوا: ناداهم بلفظ الإيمان، ليحرك فيهم مشاعر الطاعة، ويزكى فيهم جذوة الإيمان...

كتب عليكم الصيام: أى فرض عليكم صيام شهر رمضان..

كما كتب على الذين من قبلكم.. أى كما فرض على الأمم السابقة..

---

(1) سورة البقرة آية ١٨٣ - ١٨٤.

(2) من كتاب أسواق الذهب ص ٨٤ «أحمد شوقى».

فالصوم ليس خاصاً بطائفة دون طائفة، ولا بـرسالة دون أخرى، بل يشعر بالحاجة إليه كل كائن حي.

فالصوم يعرفه المتدين: على أنه وسيلة للتقرب إلى الله عز وجل.

ويعرفه المتصوف: طريقاً لصفاء الروح والنفس.

ويعرفه الطبيب: وسيلة من أنجح وسائل العلاج الجثماني.

ويعرفه رجل الاجتماع: طريقاً لتآلف القلوب وربط الجماعات.

ويعرفه رجل الاقتصاد: طريقاً لنهضة الأمم وتقدمها.

ويعرفه القائد العسكري: طريقاً لتحقيق البطولات.. وإحراز الانتصارات.

والمتـتبع لحياة الأمم يجـد أنها اتـخذت الصـيام.. ركـناً من أركـان دينهـا، وإن اختلـفت الديانات.

فقدماء المصريين: كـانوا يصومون فى أعياد إيزيس من سبعة أيام إلـى أربعين يوماً، فضلاً عن صيام الأعياد الدينية.

والصـينـيون: كانـوا يصـومون بعـض الأيام، ويـفرضـونه علـى أنفـسهم فـى أيام الـفتن والابتلاءات.

والهنود: منـذ عهد المشرع «مانو» وهم يـصومون، ويؤكدون على ضرورة الـصيام .. من الشروق إلى الغروب.

والصابئون: تفرض عليهم شريعتهم.. صيـام ثلاثين يوماً متتابعة .. من طلوع الشمس إلى غروبها.

واليـهود: تفرض عـليهم شـريعتهـم الصيـام.. فى أيام الكـفارة.. وفى المنـاسبات، لقـهر الشهوات، حتى يتـقربوا من «ياهوه» اسم الله المقدس عندهم آنذاك، كـما ورد أنهـم يصومون أسبوعاً تذكاراً لخراب أورشليم، كما تمنعهم شـريعتهم من العمل والحركة.. يوم السبت من كل أسبوع، وأول كل شهر قمرى.

والنصـارى: ذكر الإنجيل الـصوم وامتدحه، وعـده عبادة كبرى، ودعـى إليه أتبـاعه، وكان المسيح عليه السلام. يصوم أربعين يوما بلياليها.

ومن أغرب أنواع الصيام...!

صيام الصمت عن الكلام، يقال: صام فلان عن الكلام، كما قال تعالى فى قصة مريم: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(1).

فحدد معنى الصوم بالصمت عن الكلام، ومازال هذا النوع من الصيام متداولاً.. عند كثير من الأمم، وقد ذكر العالمان «سبنسر، وچيلين» فى كتابهما عن سكان استراليا، أن المرأة التى يموت زوجها تظل صائمة عن الكلام لمدة طويلة، قد تصل إلى شهور أحياناً وقد تمتد إلى عام كامل. حتى فى الجاهلية كانوا يصومون: فقد روت عائشة (رضى الله عنها): أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء ثم أمر الرسول ﷺ بصيامه، فلما فرض صيام رمضان، قال الرسول ﷺ: «من شاء منكم صام عاشوراء، ومن شاء أفطر».

ويقول ابن عباس (رضى الله عنهما): عندما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، ولما سألهم عن ذلك، قالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من فرعون، فنحن نصومه شكراً وتعظيماً لله.

فقال ﷺ: نحن أولى بموسى منكم، لو عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر.

هذا صيام الأمم السابقة..

كما كتب على الذين من قبلكم...

لعلكم تتقون: أى: لتكونوا من المتقين لله، المجتنبين لمحارمه.

أياماً معدودات: أياماً قلائل، فلم يفرض عليكم الدهر كله، تخفيفاً ورحمة بكم.

فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر: أى: من كان به مرض أو مسافراً فأفطر، فعليه قضاء عدة ما أفطر من أيام غيرها.

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين: أى: وعلى الذين يستطيعون صيامه مع المشقة. لشيخوخة أو ضعف إذا أفطروا، عليهم فدية بقدر طعام مسكين لكل يوم..

فمن تطوع خيراً: أى: فمن زاد على القدر المذكور فى الفدية..

فهو خير له..

---

(1) سورة مريم آية ٢٦.

وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون: أى: والصوم خير لكم من الفطر والفدية، إن كنتم تعلمون ما فى الصوم من أجر وفضيلة.

والصوم: هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق، حتى غروب الشمس مع نية الصوم فى نهار لايحرم صومه.

والصوم فى الإسلام: جاء جديداً فى بابه، فقد فرض صيام شهر بأكمله، ولهذا الصوم شروط وآداب، لاتقف عند الكف عن الطعام والشراب ونحوهما من الأمور التى تتعلق بالجسد، ولا بالتقشف الظاهرى، وإنما هو حياة روحانية، فالعين تصوم: بالغض عما حرم الله النظر إليه..

واللسان يصوم: عن الكذب، والغيبة، والنميمة، والغش، والبهتان..

والأذن تصوم: عن الإصغاء إلى ما نهى الله عنه..

والبطن تصوم: عن تناول الحرام، وما فيه من آثام..

واليد تصوم: عن إيذاء الناس..

والرجل تصوم: عن المشى فيما حرم الله..

يقول الشاعر:

إذا لم يكن فى السمع منى تصامم ... وفى مقلتى غض، وفى منطقى صمت

فحظى إذن من صومى الجوع والظما ... وإن قلت إنى صمت يوماً فما صمت

ويقول آخر:

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند استماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه

ويقول آخر:

القائل كالحالب والسامع كالشارب.

وفى الحديث القدسى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزى به».

أى: كل عمل ابن آدم، له حظ منه، يتعجل ثوابه فى الدنيا، إلا الصوم، فهو خالص من

الرياء، فقد يراك الناس وأنت تصلى، وقد يراك الناس وأنت تزكى، وقد يراك الناس وأنت تحج، ولكن لايراك الناس وأنت صائم، ولهذا كان الصوم بينك وبين الله

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ: أعطيت أمتى خمساً لم يعطهن نبى قبلى:

أولها: إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم، ومن نظر الله تعالى إليه لم يعذبه أبداً.

ثانيها: فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

ثالثها: فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة.

رابعها: فإن الله عز وجل يأمر جنته، ويقول لها: استعدى وتزينى لعبادى يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا.. إلى دار كرامتى..

خامسها: فإنه إذا كان آخر ليلة، غفر الله لهم جميعاً، فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر يارسول الله؟

فقال: لا.. ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم، وفوا أجورهم.

ثم قال ﷺ: إن الله تبارك وتعالى فرض عليكم صيام رمضان، وسننت لكم قيامه، فمن صامه، وقامه.. خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

هذا .. واعلم: أن من أفطر يوماً من رمضان بغير عذر، فلا يكفيه صيام الدهر كله، وإن صامه.

واعلم: أن هناك أموراً تبطل الصوم: كالأكل، والشرب، والجماع، وتعمد القىء، والمعاصى.

واعلم أن هناك أموراً لاتبطل الصوم: كمن غلبه القىء، ومن احتلم وعليه الغسل، ومن أكل ناسياً. أو شرب، والمضمضمة، والاغتسال، والحقن سواء كانت فى العضل أو فى الوريد، والتطعيم، والروائح الطيبة، والكحل، والقطرة، وقد اكتحل الرسول ﷺ وهو صائم، ولا بأس بالسواك أول النهار وآخرة، كما قال ابن عمر.. كل هذا لايفطر.

مبطلات الثواب

الغيبة، والنميمة، واليمين الكاذب، والنظرة الخائنة، وشهادة الزور.

وكما أن أبواب جهنم سبعة، فالطرق المؤدية اليها سبعة أيضاً.. وهى: العين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل.

ما يبيح الفطر

المرض، والسفر، والحيض، والنفاس، والحمل، والرضاع، والمرض الدائم الذى يشق معه الصوم.. فلصاحبه الفطر وعليه الفدية..

وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون

«الصوم جنة».

- صوموا تصحوا.
- المعدة بيت الداء والحمية رأس الشفاء.
- نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع.
- قيل ليوسف عليه السلام: لم تجوع وفى يديك خزائن الأرض؟

قال: أخشى أن أشبع، فأنسى الجائع.

وقال لقمان الحكيم: إذا امتلأت المعدة، خرست الحكمة، ونامت الفطنة، وسكنت الأعضاء عن العبادة.

وقيل للأحنف بن قيس: إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك، فأجاب الأحنف: إنى أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى، أهون من الصبر على عذابه.

هذا..

وإن يوماً واحداً يصومه الإنسان لهو خير من تعاطى الدواء لمدة عام، وإن فى العالم الآن مستشفيات كثيرة يقوم العلاج فيها على الصيام، فهو أصل الشفاء، وأول مراحل الصفاء.

بشرى وهدية

الصوم حلم واحتمال ... وسماحة فى كل حال

الصوم ليس كما نرى ... الصوم ليس كما يقال

ضيقاً وضعف عزيمة ... يلقى على كتف الرجال

الصوم صوم جوارح ... عن كل ما فيه ابتذال

إن لـــم يـــزدك تحـــمـــلاً فـــالجـــوع أول مـــا تـــنـــال

رمـــضـــان شـــهـــر ســـكـــيـــنـــة لاخـــوض فـــيـــه ولا انـــفـــعـــال

لاجـــهـــل فـــيـــه ولانـــفـــور ولافـــســـوق ولا جـــدال

رمـــضـــان شـــهـــر هـــدايـــة يـــهـــدى الـــنـــفـــوس ولا يـــزال

رمـــضـــان مـــائـــدة الـــهـــدى وطـــريـــق مـــن يـــبـــغـــى الـــكـــمـــال

بـــشـــرى لأمـــة أحـــمـــد وهـــديـــة مـــن ذى الجـــلال

فـــابـــدأ صـــيـــامـــك بـــالـــهـــلال واختـــم صـــيـــامـــك بـــالـــهـــلال

لـــتـــعـــيـــش فـــى عـــيـــنـــى صـــهـــيـــب ثـــم فـــى شـــفـــتـــى بـــلال[1]

شهر رمضان

يقول تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[2].

والمعنى: شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان: ابتدأ فيه نزول القرآن، حال كونه هداية للناس لما فيه من إرشاد وإعجاز.. وآيات واضحات تفرق بين الحق والباطل.

فمن شهد منكم الشهر فليصمه : أى: من حضر منكم الشهر فليصمه.

---

(١) من شعر المؤلف.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥ - ١٨٦.

ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر : أي: ومن كان مريضاً أو مسافراً فأفطر فعليه صيام أيام أخرى.

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر : أي: يريد الله بهذا الترخيص، التيسير عليكم.. لا التعسير عليكم.

ولتكملوا العدة : أي: ولتكملوا عدة شهر رمضان بقضاء ما أفطرتم فيه..

ولتكبروا الله على ما هداكم : أي: ولتحمدوا الله على ما أرشدكم إليه من معالم الدين.

ولعلكم تشكرون : أي: ولكى تشكروا الله على فضله وإحسانه.

ثم يبين تعالى: أنه قريب يجيب دعوة الداعين، ويقضى حوائج السائلين.. فقال: وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب:

أي: أنا معهم، أسمع دعاءهم، وأرى تضرعهم، وأعلم حالهم، كقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(١).

أجيب دعوة الداعى إذا دعان: أى إذا كنت أنا ربكم خالقكم الغنى عنكم، أجيب دعاءكم، فالأولى بكم أن تستجيبوا أنتم لدعوتى.. وتدوموا على طاعتى .. لتكونوا من السعداء الراشدين.

وقد ذهب قوم إلى الإمام (إبراهيم بن أدهم) وكان من أطباء القلوب. وقالوا له: يا إبراهيم: لماذا ندعو الله ولا يستجيب الله لنا؟..

فقال إبراهيم: لأن الله دعاكم فلم تستجيبوا له..

نعم: فإذا أردت أن يستجيب الله لك، فاستجب أنت أولاً له، حتى تكون أرضك خصبة صالحة للزراعة، وقلبك غضاً صالحاً للطاعة.

فلا تعش وحدك، وتخالف الجماعة، بل أحسن الدعاء، وأحسن الضراعة، لتفوز بالقبول، وتفوز بالشفاعة!!

سبب النزول

وقد ورد فى سبب النزول، أن جماعة من الأعراب ذهبوا إلى النبى ﷺ وقالوا: يا محمد: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾(٢).

(١) سورة ق آية ١٦. (٢) سورة البقرة آية ١٨٦.

سبب التسمية

وسمى رمضان برمضان، لأنه يرمض الذنوب.. ويحرقها بالأعمال الصالحة، والرمضاء هى شدة الحر، وسمى بذلك لحر الجوع والعطش.

قال ابن الجوزى فى بستان الواعظين عن منزلة شهر رمضان: مثل الشهور الإثنى عشر، كمثل يعقوب، وأولاده، فكما أن يوسف أحب أولاد يعقوب إليه، كذلك رمضان أحب الشهور إلى الله.

شهر الكتب السماوية

وشهر رمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكر فى القرآن الكريم: «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن».

وقيل إن رمضان من أسماء الله الحسنى، قال مجاهد: بلغنى أن رمضان من أسماء الله الحسنى.

وشهر رمضان هو الشهر الذى أنزلت فيه الكتب السماوية: ففى أول ليلة من رمضان أنزلت الصحف على إبراهيم (علية الصلاة والصلام).

وفى ليلة السادس من رمضان أنزلت التوراة على موسى (عليه الصلاة والسلام).

وفى ليلة الثالث عشر من رمضان أنزل الإنجيل على عيسى (عليه الصلاة والسلام).

وفى ليلة القدر منه أنزل القرآن على محمد ﷺ.

شهر الجهاد فى سبيل الله

وشهر رمضان هو الشهر الذى بجانب أنه شهر عبادة لله، هو شهر شهادة فى سبيل الله وإلى جانب أنه شهر تهذيب للروح، هو شهر جهاد لإعلاء كلمة الله.

ففى رمضان من العام الثانى الهجرى، كانت غزوة بدر الكبرى، وتم فيها انتصار المسلمين على كفار قريش.

وفى رمضان من العام الثامن الهجرى، كانت غزوة الفتح الأكبر، وتم فيها فتح مكة، ودخول الناس فى دين الله أفواجاً.

وفى رمضان من العام الخامس عشر الهجرى، كانت معركة القادسية.. وتم فيها القضاء على آخر معاقل المجوس بفارس.

وفى رمضان من العام الثانى والتسعين، كان فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد.

وفى رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة، تم بناء الجامع الأزهر الشريف بمصر كنانة الله فى أرضه.

وفى رمضان سنة أربعة وثمانين وخمسمائة، تم طرد الصليبيين من سوريا على يد صلاح الدين الأيوبى.

وفى رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة، انتصر المسلمون على التتار فى موقعة عين جالوت.

وفى رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف، تم عبور الجيش المصرى لقناة السويس، وطرد المستعمر اليهودى من أرض سيناء المباركة.

وهكذا نرى أن شهر رمضان.. شهر عبادات وقربات، وجهاد وبطولات، وهو شهر النصر والفتح والبركات.

فضائل شهر رمضان

ومن فضائل شهر رمضان ومزاياه أيضاً: اشتماله على ليلة القدر التى امتدحها الله تعالى فى قوله: بسم الله الرحمن الرحيم﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ *﴾.

قال ابن عباس (رضى الله عنهما): أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة.. من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع، فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.

والقدر الذى أضيفت إليه الليلة، مأخوذ من قولهم: لفلان قدر عند فلان، أى له منزلة رفيعة، وشرف عظيم، فسميت هذه الليلة بذلك لعظم قدرها، وسمو شرفها، إذ هى الليلة التى أنزل فيها قرآن ذو قدر، بواسطة ملك ذى قدر، على رسول ذى قدر، لأجل إكرام أمة ذات قدر.

ليلة القدر

وليلة القدر هى ليلـة السابع والعشرين من رمضان، باتفاق العلـماء، يقول أبى بن كعب: إنى لأعلم أى ليلة هى: إنهـا الليلة التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، وهى لـيلة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحتها بيضاء لاشعاع لها.

ويقول ابن عباس (رضى الله عنهما): إنى لأعلم ليلة القدر، إنها ليلة السابع والعشرين من رمضان، وإن شئتم فاقرأوا قوله تعالى: إنا أنزلناه فـى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر.. إلخ..

لقـد ذكــر الله تعـالى.. ليـلة القدر فى السورة.. ثلاث مـرات، وليـلة القـدر مكـونة مـن تسعة أحرف فيكون مـجمـوع حـروفها سبـعة وعـشرين حـرفاً، هى نـفسهـا مـوعـدها مـن الشـهر.

فتكون ليلة القـدر.. هى ليلة السابع والعشرين من رمضان، وقد احـتاط بعض العلماء.. فقالوا: هى فى العشر الأواخر من رمضان، لحديث عائشة (رضى الله عنها).

«كان رسول الله ﷺ: إذا دخل العشـر الأواخر من رمضان، شد مئزره، وأحيا لـيله، وأيقظ أهله، وكـان يعتكـف فى العشر الأواخـر من رمضان، ويـقول: تحروا ليلـة القدر فى الـعشر الأواخر من رمضان».

وجاء فى الصحيحين: «مــن قـام ليـلة القدر إيمـانا واحـتسابا، غــفر الله له ما تقـدم من ذنبه..

ففى هذه الليلة المبـاركة التى قال الله فيها: « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.. إلخ» تطوف الملائـكة بأهل الأرض فتصلى عـلى القائمين، وتسـتغفر للذاكرين، وتسلم على النائمين، سلام هى حتى مطلع الفجر.

وليلة القدر خيـر من ألف شهر، والألف شهر.. ثمانون عاماً ونـيف أى: عمر الإنسان فى الدنيا وإن طال، فليلة القدر خير من العمر، بل هى ليلة العمر..

ليلة العمر

يــالــيـلــة الــقــدر	يــالــيـلــة الــعــمــر
طــوبـــى لمـــن مـــنـــا	أحـــيـــاك بـــالـــذكـــر
وطـــواك بـــالـــتـــقـــوى	والحـــمـــد والـــشـــكـــر
يـــالـــيـلـــة كـــانـــت	خـــيـــراً مـــن الـــدهـــر
ســـأظـــل مـــلـــتـــمـــســـاً	إيـــاك فـــى الـــعـــشـــر
مـــتـــبـــتـــلاً يـــقـــظـــاً	حـــتـــى ســـنـــا الـــفـــجـــر
حـــتـــى أفـــوز هـــنـــا	وهـــنـــاك بـــالأجـــر
يـــارب وامـــنـــحـــنـــى	مـــن ذلـــك الخـــيـــر
وامـــنـــن عـــلـــىّ بـــه	فـــى لـــيـــلـــة الـــقـــدر
يـــالـــيـــلـــة الـــقـــدر	يـــالـــيـــلـــة الـــعـــمـــر(*)

كرم الرسول ﷺ

وكان كرم الرسول ﷺ يتضاعف فى رمضان، خاصة عندما يلقاه جبريل فيه لمدارسة القرآن، وإعادة تلاوته، وكان يجتهد فى العشر الأواخر منه، مالا يجتهد فى غيره، التماساً لليلة القدر، وكانت روحه العالية ببركة الصوم تستغنى حيناً عن غذاء البدن، فربما مكث أياما لايفطر .. عند المغرب، ويواصل صومه.. ويقول: «إنى لست كهيئتكم، إنى أبيت عند ربى فيطعمنى ويسقينى» بل كان ينتظره بفارغ الصبر، ويدعو الله فى شهرى رجب وشعبان.. قائلاً: «اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان، وبلغنا رمضان» حتى إذا بزغ هلاله استقبله فرحاً داعياً، ويقول: «هلال رشد وخير، آمنت بالذى خلقك، ربى وربك الله..».

وكان يدعو الفقراء ليشاركوه فى الإفطار، وفى السحور، وقلده فى ذلك أصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) والتابعون من بعده.. فكان «ابن عمر» لايفطر من صومه.. إلا مع المساكين، فإذا لم يتيسر له .. لم يفطر!!

(*) من شعر المؤلف.

وجاء فقير إلى الإمام أحمد، وهو صائم، فأعطاه رغيفين كان قد أعدهما لإفطاره، ثم طوى وأصبح صائماً.

وكانوا يطيلون القرآن في التراويح .. حتى يعتمدوا على العصى من طول القيام، وما ينصرفون إلا عند الفجر.

وكان الأئمة الأربعة (رضوان الله عليهم) إذا دخل رمضان.. تركوا مجالس العلم، ومحادثة الخلق، وانقطعوا إلى الله، يتلون كتابه.

حتى النساء كن يشتركن في إحياء رمضان بالعبادة، فأمهات المؤمنين كن يتنافسن في التهجد، وقراءة القرآن، والاعتكاف في المسجد في مكان خاص بهن، ويحرصن على إحراز الخير في موسم الرحمات، وتقول عائشة (رضي الله عنها) لرسول الله ﷺ: أرأيت إن علمت ليلة القدر، ماذا أقول فيها؟

فقال لها قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

ليلة القدر

يقول تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ *﴾[1].

ويقول رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا.. غفر له ما تقدم من ذنبه.»

وليلة القدر.. ختام عظيم.. للشهر الكريم.. وهي مسك الختام.. لشهر الصيام.. ولهذا.. فهي تأتي في آخر الأيام.. تاجاً على الشهور والأعوام.

وإن كنا قد استقبلنا شهر رمضان من قريب.. بالحب والسلام.. يامرحبا بك كل عام... يامرحبا شهر الصيام.. شهر الأرواح .. لا شهر الأجسام.. شهر الصيام.. لاشهر الطعام.. شهر الأنوار .. لاشهر الظلام.. شهر المحبة.. لاشهر الخصام.. إلا أننا نوشك أن نودعه الآن بالحب والسلام.. فلا أوحش الله منك .. ياشهر الصيام..

---

(١) سورة القدر.

ودعــتـنــا شــهــر الــصــيــام	شــوقــتــنــا لــك كــل عــام
يــالــيــت يــاشــهــر الــهــدى	لــو تــســتــمــر عــلــى الــدوام
وتــكــون شــهــراً كــل شــهــر	لــيــس شــهــراً كــل عــام[1]

إنا أنزلناه فى ليلة القدر: أنزل الله العظيم.. القرآن الكريم.. فى ليلة القدر.. ذات الشرف والتعظيم.. فلقد أنزل الله ذو القدر.. قرآنا ذا قدر.. على نبى ذى قدر.. بواسطة ملك ذى قدر.. لأجل أمة ذات قدر.. فى ليلة ذات قدر

ولقد أنزل الله العظيم.. القرآن الكريم. جملة واحدة.. من اللوح المحفوظ .. إلى بيت العزة من السماء الدنيا.. ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع.. فى ثلاث وعشرين سنة .. على رسول الله ﷺ.

وما أدراك ما ليلة القدر: تفخيم. وتعظيم. وتكريم. للشهر الكريم. وليلة القدر.. ذات الشرف والجلال.. والعز والجمال. والمجد والكمال!!

ليلة القدر خير من ألف شهر: صيامها وقيامها وعملها خير من ألف شهر.. والألف شهر نيف وثمانون عاماً.. أى: عمر الإنسان فى الدنيا وإن طال.. فليلة القدر.. خير من العمر.. بل هى ليلة العمر.. وقد ورد أن رجلاً من الأمم السابقة .. حمل السلاح.. وجاهد فى سبيل الله ألف شهر.. فتعجب الرسول ﷺ وتعجب المسلمون.. من هذا الرجل.. فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء وقال: يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعماراً.. وأقلها أعمالا.. وهذا رجل من الأمم السابقة .. حمل السلاح.. وجاهد فى سبيلك ألف شهر..

فقال الله تعالى: يا محمد.. لقد أعطيتك ليلة خيراً من ألف شهر.. أعطيتك ليلة القدر.. خيراً لأمتك من ألف شهر.

تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر: تنزل الملائكة.. وفيهم جبريل أمير الملائكة.. فى مواكب نورانية.. وكواكب رحمانية.. بالبركات.. والرحمات.. والتجليات.. فى هذه الليلة المباركة.. بأمر ربهم.. من كل أمر قضاه الله وقدره.. من العام إلى العام..

سلام هى حتى مطلع الفجر: ومع نزول الملائكة .. كوكبة كوكبة.. وملكا ملكا.. يطوفون بأهل الأرض من المؤمنين.. فى حب وسلام وحنين .. يعانقون الراكعين الساجدين..

(١) من شعر المؤلف.

ويصافحون الذاكرين الخاشعين.. ويسلمون على الغافلين النائمين.. سلام هى حتى مطلع الفجر..

وقد حكى بعض السلف.. أنهم تحققوا من أن ليلة القدر.. هى ليلة السابع والعشرين.. وذلك.. من القرآن الكريم.. من قوله تعالى «هى» من السورة الكريمة.. «سلام هى».. لأن كلمة «هى» هى الكلمة السابعة والعشرون من السورة.. وهى نفسها موعدها من الشهر.. فتكون بذلك ليلة القدر..

هى: ليلة السابع والعشرين من رمضان.. بمكانها من السورة!!

وقد دعا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) صحابة رسول الله ﷺ .. وسألهم عن ليلة القدر.. فأجمعوا: أنها فى العشر الأواخر من رمضان.. إلا أن ابن عباس قال: إنى لأعلم أى ليلة هى..

فقال عمر: أى ليلة هى..؟!

فقال: سبعة تمضى.. أو سبعة تبقى.. من العشر الأواخر من رمضان..

فقال عمر: من أين علمت هذا؟!

قال ابن عباس: لقد خلق الله سبع سموات.. وسبع أراضين.. وسبعة أيام.. وإن الشهر ليدور على سبع .. وخلق الإنسان من سبع.. ويأكل من سبع.. ويسجد على سبع.. والطواف بالبيت سبع.. والسعى سبع.. ورمى الجمار سبع.. لأشياء ذكرها..

فقال عمر: طوبى لك يا ابن عباس.. لقد فطنت لأمر ما فطنا له..

ثم قال ابن عباس: وإنى لأعلم ليلة القدر من عدد حروفها.. فلقد ذكر الله تعالى ليلة القدر.. ثلاث مرات فى السورة: إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر.. ليلة القدر خير من ألف شهر.. وليلة القدر.. تحتوى على تسعة أحرف.. فيكون مجموع الثلاث.. سبعة وعشرين حرفاً.. وهو نفسه موعدها من الشهر.. فتكون بذلك ليلة القدر.. هى ليلة السابع والعشرين من رمضان. بعدد حروفها من السورة.

ومن أحاديث عائشة (رضى الله عنها) فى فضلها: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان.. شد مئزره .. وأحيا ليله.. وأيقظ أهله..

هذا.. وقد سألت عائشة (رضى الله عنها) .. النبى ﷺ إن هى شاهدت ليلة القدر.. ماذا تقول فيها؟! ... فقال لها النبى ﷺ قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى.

ومن أمارات ليلة القدر. أن الشمس تخرج من صبيحتها بيضاء لاشعاع لها.. مثل القمر ليلة البدر.

فليلة القدر ليلة سمحة طلقة.. لاحارة.. ولاباردة..

فى هذه الليلة المباركة.. يصعد جبريل إلى الأفق الأعلى من الشمس.. فيبسط جناحيه. وله جناحان أخضران.. لاينشرهما .. إلا فى تلك الساعة.. فتصير الشمس لاشعاع لها.. ثم يدعو الملائكة ملكاً ملكاً.. وكوكبة كوكبة.. فيجتمع نور الملائكة.. مع نور جناحى جبريل فيقيم جبريل ومن معه من الملائكة . بين السماء والأرض. فى دعاء ورحمة واستغفار. للمؤمنين: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ للَّذين آمَنُوا ربَّنا وسعْت كُلَّ شيْءٍ رَّحْمةً وعلْمًا فَاغْفرْ للَّذين تابُوا واتَّبعُوا سَبيلك وقهمْ عذاب الْجحيم * ربنا وأدْخلهْم جنَّات عدْن الَّتى وعدتَّهم ومن صلح من آبائهم وأَزْواجهمْ وذُرِّيَّاتهمْ إنَّك أنت العزيزُ الْحكيمْ * وقهمُ السَّيِّئَات ومن تق السَّيِّئات يومئذ فقد رحمته وذلك هُو الْفَوْزُ الْعظيم﴾[1]

ثم ينزل جبريل عليه السلام.. ومعه الملائكة الكرام.. فى خشوع وجلال وسلام.. يطوفون بالمؤمنين.. فيعانقون الراكعين الساجدين.. ويصافحون الذاكرين الخاشعين.. ويسلمون على النائمين الغافلين.. سلام هى حتى مطلع الفجر

يامرحباً بك كل عام	يا مرحباً شهر الصيام
ياليت ياشهر الهدى	لو تستمر على الدوام
وتكون شهراً كل شهر	ليس شهراً كل عام

(١) سورة غافر آية ٧ ٩

غزوة بدر الكبرى

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

سورة آل عمران آية (١٢٣)

غزوة بدر الكبرى(*)

هى الغزوة.. التى خلد الله ذكرها فى القرآن الكريم. فسمي زمنها ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾(١) كما امتن الله تعالى على المسلمين بها فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾(٢).

وخلاصة ذكراها: أن النبى ﷺ كان قد بلغه وهو بالمدينة أن قافلة تجارية ضخمة.. ألف بعير.. تحمل من الخير ما يقدر بخمسين ألف دينار.. تهبط من مشارف الشام عائدة إلى مكة يقودها أبو سفيان بن حرب مع رجال لايزيدون عن الثلاثين أو الأربعين..

فقال لأصحابه: «هذه عير قريش فيها أموالهم. فاخرجوا إليها.. لعل الله ينفلكموها».

وكان النبى ﷺ يرجو لهم من وراء هذه الغنيمة عوضاً لما لحقهم من خسائر فى أثناء هجرتهم الأخيرة.

وترك الرسول ﷺ الأمر لأصحابه.. فخرجوا وكان عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً أكثرهم من المهاجرين.. وأقلهم من الأنصار.

ولم يكن معهم سوى فرسين وسبعين بعيراً.. كانوا يتعاقبون ركوبها.

وكان أبو سفيان قد وردت إليه أنباء الهجوم الإسلامى.. فخالف الطريق المعتاد.. وسار بالعير إلى طريق البحر على بعد ثلاثة أميال إلى أسفل.. فاستطاع أن ينجو بالقافلة بعد أن أرسل إلى مكة من يستنفر أهلها لحماية أموالهم. لأن معظمهم كان له نصيب فى هذه التجارة.. فكانوا بين رجلين : إما مشترك بنفسه .. وإما باعث مكانه رجلاً.. إلى أن بلغ عددهم نحو تسعمائه وخمسين مقاتلاً فى مائة فرس وسبعمائة بعير.

وكان النبى ﷺ قد واصل السير حتى نزل وادى زفران.. فبلغه نجاة العير.. وأن قريشاً قد ساقت من مكة جيشاً جراراً لحماية القافلة.. وأنها تتأهب للقتال مستترة خلف الكثيب الذى بالعدوة القصوى.. فهزت هذه المفاجأة جيش المسلمين. لأنهم ما كانوا يتوقعون هذا.. ولو توقعوه لأعدوا له عدته..

---

(١) سورة الأنفال آية ٤١ (٢) سورة آل عمران آية ١٢٣

(*) من وصايا الرسول ﷺ

غير أن النبى ﷺ استطاع بحكمته وكياسته.. وحسن قيادته .. أن يتغلب على هذا الفتور العارض.. وأن يقنعهم بضرورة تعقب المشركين مهما كان عددهم وبأسهم.. وحذرهم من مغبة العود السريع إلى المدينة.. وأنه إذا لم يقبل المسلمون هذا التحدى لجاز أن يدفع الطيش القرشيين فيواصلوا زحفهم نحو المدينة.

فتحمس المسلمون جميعاً لقبول هذا التحدى ومواجهته مهما كلفهم من تضحيات.. واستمع الرسول ﷺ إلى أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما) الذين أشارا عليه بالتقدم.. وأيدهما المقداد بن عمرو.. ولفت نظر الرسول ﷺ أن هؤلاء الذين أشاروا عليه بالقتال من المهاجرين فقط.

فأراد الرسول ﷺ أن يستجلى موقف الأنصار الذين بايعوه فى بيعة العقبة.

فقال: «أشيروا على أيها الناس».

فلما أحس الأنصار أنه يقصدهم.. نهض سعد بن معاذ صاحب رايتهم..

وقال: يارسول الله.. كأنك تريدنا؟

قال: أجل!

فقال سعد (رضى الله عنه): «قد آمنا بك وصد قناك.. وأعطيناك عهودنا.. فامض يارسول الله لما أمرت فنحن معك..

فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر.. فخضته لخضناه معك.. ما تخلف منا رجل واحد.. إنا لصبر فى الحرب .. صدق عند اللقاء.. سر بنا على بركة الله».

ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه المصطفى ﷺ بشراً وقال: «سيروا وأبشروا.. هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ أكبادها.. والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم».

ثم سارع الرسول ﷺ بجيش المسلمين إلى الشرق من جيش المشركين.. فى العدوة الدنيا.. ونزل عند أقرب ماء للعدو.. لمشورة الحباب ابن المنذر.. وبنى عليه حوضاً.. وطمس كل ماعداه من ينابيع ليتيح للمسلمين الانتفاع بالماء دون المشركين.. وفى الوقت ذاته.. صنع للرسول ﷺ عريش من جريد النخل فى نفس الميدان..

وكانت قريش كما علمت سابقاً بالعدوة القصوى[1].. وجيش المسلمين بقيادة القائد العظيم محمد ﷺ بالعدوة الدنيا..

ووقف الرسول ﷺ ينظم الصفوف وهو يحث أصحابه على الثبات.. حتى ارتفعت هممهم.. وسمت عزائمهم .. ثم أخذ ينادى ربه حتى سقط رداؤه.. وهو يقول: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها.. تحادك وتكذب رسولك.. اللهم نصرك الذى وعدتنى»[2].

وكان المسلمون أسعد حظاً من المشركين.. فلقد أكسبهم النوم الذى غشيهم ليلة المعركة وافراً من راحة الجسم والنفس.. وأمطرت السماء ماء ثبت الله به الأرض تحت أقدامهم[3].. وسهلت تحركاتهم على سفح التلال.. فى حين كانت عائقاً أمام زحف المشركين.. وعوقت تحركاتهم.. وتسلطت أشعة الشمس فى الصباح على أعين المشركين.. فأغشت أعينهم.. وشغلتهم عن القتال .. وزاد التفكك فى صفوفهم أنهم شعروا أن القتال أصبح لاضرورة له بعد نجاة العير.. فلو بقيت العير فى الخطر.. لكان من المحتمل أن يستميت المشركون فى القتال.

ويبدأ الهجوم من جانب المشركين بهجوم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذى بناه المسلمون .. قائلاً:

أعاهد الله لأشربن من حوضهم أولأهدمنه أو لأموتن دونه.. فيتصدى له حمزة بن عبد المطلب فيضربه ضربة تطير بها نصف ساقه.. ومع ذلك فقد حبا إلى الحوض يبغى اقتحامه.. فتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه.. الأمر الذى أغضب المشركين.. وأثار حميتهم..

---

(١) العدوة القصوى: أى: البعيدة عن المدينة.. والعدوة الدنيا هى القريبة منها.. و(بدر) سهل رملى يحده من الشمال الشرقى تلال شديدة الانحدار .. ومن الغرب كثبان رملية.. ومن الجنوب منحدر صخرى منخفض.. وينساب فى الوادى جدول ماء.. وينقطع هذا الجدول فيصبح آباراً وهو على بعد ١٦٠ كم من المدينة.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾.

(٣) وفى هذا يقول تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ «الآية ١١ من سورة الأنفال».

فاندفع منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة.. والوليد بـن عتبة يطلبون المبارزة فبرز للقائهم فتية من الأنصار..

فقالو.. يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا..

فقال الرسول ﷺ: قـم يا عبيدة بن الحارث.. قم ياحمزة بن عبد المطلب.. قـم يا على بن أبى طالب.. فبارز عبيدة .. عتبة.. وبارز على.. الوليد.. وبارز حمزة.. شيبة.. فقتل حمزة شيبة.. وقتل على الوليد.. وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر.. فكر حمزة وعلي بسيفيهما على عتبة فأجهزا عليه.. ثم احتملا صاحبهما إلى رسول الله ﷺ الذى أفرشه قدمه حتى أسلم الروح إلى بارئها.. شهيداً فى سبيل الله تعالى.

فكان هذا المشهد البطولى .. سبباً فى انفجار الكفار الذين أخذوا بعد ذلك يمطرون المسلمين بوابل من سهامهم.. فحمى الوطيس.. وتهاوت السيوف.. وتصايح المسلمون: أحد.. أحد.. فأمرهم الرسول ﷺ بأن يكسروا هجمات المشركين.. وهم يرابطون فى مواقعهم .. وهو يقول لهم: «إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل.. ولاتحملوا عليهم حتى تؤذنوا».

ولهذا عندما اتسع نطاق المعركة واقتربت من ذروتها كان المسلمون قد استنفدوا جهد أعدائهم.. وألحقوا بهم خسائر جسيمة.. والنبى ﷺ فى عريشه يدعو الله تعالى.. ويرقب بطولة رجاله.. ثم يخرج إليهم محرضاً فيقول: «والذى نفس محمد بيده.. لايقاتلهم اليوم رجل.. فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

ومرة أخرى: يخفق فى العريش خفقة ثم ينتبه قائلاً: «أبشر يا أبا بكر.. أتاك نصر الله .. هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع..!!!».

فيتحمس المسلمون ويستبشرون بنصر الله تعالى.. ويقاتلون بكل شجاعة واستبسال إلى أن تنتهى المعركة الخالدة بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين بعد أن انكسرت شوكتهم.. وسقطت رايتهم.. وهم يفرون أمام الأسود الكاسرة بقيادة زعيمهم وقائدهم المظفّر محمد ﷺ.

(*) وقد قتل فـى هذه الغزوة من المشـركين سبعون صنديـداً من رءوس الكفر بمكـة منهم:
عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وأبو جهل بن هشام..

وأسر منـهم سبعون أيضـاً: وأما الباقى بعـد القتل والأسر فقـد فر عائداً إلى مكـة يجر أذيال الخزى والعار.

(*) أما المسلمون فقد استشهد منهم فى هذه الغزوة أربعة عشر رجلاً.

(*) ويعود المصطفى ﷺ مـع أصحابه الظافرين بعد ذلك إلى المديـنة يسوق أمامه الأسرى.. والغنائم فخوراً بنصر الله وتأييده.

(*) وقد سجـل هذا.. رب العزة سبـحانه فى قرآنـه الكريم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة الأنفال آية ٩، ١٠.

فتح مكــة

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾

سورة الفتح آية (١)

فتح مكة

فى أواخر السنة الثامنة من الهجرة.. كانت قريش قد نقضت عهدها فى صلح الحديبية .. فهاجمت مع حلفائها من بني بكر قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين.. حتى إن بنى بكر الذين كانت تعينهم قريش بالسلاح.. هاجموا خزاعة فى داخل الحرم.. عندما انحازوا إليه للاحتماء به.. حيث لايجوز القتال.. فأصابوا منهم رجالاً.. ففزعت خزاعة لما حل بها.. وأرسلت إلى رسول الله ﷺ عمرو بن سالم يقص عليه نبأها.

وهناك وبين يدى الرسول ﷺ قال عمرو شعراً باكياً ختمه بقوله.. مخاطباً الرسول ﷺ:

إن قريشاً أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وجعلوا لى فى كداء رصدا ... وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا ... هم بيتونا بالوتير هجدا

فقتلونا ركعاً وسجدا

وما كاد عمرو ينتهى من كلامه هذا.. حتى قال له الرسول ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم».

وكانت قريش قد أحست بعد فوات الأوان بخطئها .. فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة نائباً عنها ليصلح ما أفسده قومه.. ويحاول أن يعيد الأمر إلى ما كان عليه.. ولكنه عاد بعد ذلك يجر أذيال الخزى والعار بعد أن رفض رسول الله ﷺ مقابلته.

وباختصار.. كان النبى ﷺ ، قد أمر الناس بأن يتجهزوا.. وأعلمهم أنه سائر إلى مكة.. وهو يوصيهم بالجد والبدار.. داعيًا الله تعالى قائلا: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها».

وفى ثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان المبارك غادر الرسول ﷺ المدينة على رأس جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل لنصرة المظلوم.. وردع الظالم.. وكله أمل فى نصر الله وتأييده..

ويمضى الرسول ﷺ بأصحابه يطوون البيداء المترامية.. وقد امتلأت قلوبهم بالعزة..

وسرت فى نفوسهم روح الإخلاص والإيمان.. حتى إذا صاروا على مشارف مكة ضربوا خيامهم.. وأوقدوا نيرانهم.. وكانت نيرانا عظيمة.. لم ترها مكة فى تاريخها الطويل.

الأمر الذى أزعج أهل مكة.. وأثار عجبهم.. وقذف الرعب فى قلوبهم..

وفى هذه اللحظات الرهيبة.. خرج أبو سفيان بن حرب.. لاستطلاع الأمر ومعرفته .. فالتقى فى طريقه بالعباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.. وكان قد أسلم قبل ذلك.. فسأله عن هذه النيران الهائلة؟.

فأخبره بأنها نيران المسلمين.. فارتعدت فرائصه.. وصدم صدمة عنيفة.. بسبب هذا النبأ الذى ما كان يخطر له على بال.

ولهذا.. وبعد تفكير عميق وروية.. وجد نفسه مضطراً إلى الإذعان والاستسلام..

فأجاره العباس .. وانطلق به إلى رسول الله ﷺ حيث أعلن إسلامه.. ففتح لنفسه باباً من الأمن والسلام..

وأراد الرسول ﷺ أن يعلى كرامته بين قومة كما كانت .. فمنحه منزلة لم تمنح لأحد قبله.. ولا منحت لأحد من بعده..

فقال: «من أغلق بابه دونه فهو آمن.. ومن دخل المسجد فهو آمن.. ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن..».

وقد روى أن رسول الله ﷺ قال لعمة العباس: «خذ أبا سفيان واحبسه بمضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها».

يقول العباس: فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادى.. حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه.. ومرت القبائل على راياتها.. وكلما مرت.. قال: يا عباس .. من هذه؟ فأخبره عنها.. حتى مر رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء.. وفيها المهاجرون والأنصار (رضى الله عنهم) وقد لبسوا عدة الحرب والقتال لايرى منهم إلا الحدق من الحديد..

فقال: سبحان الله .. يا عباس.. من هؤلاء؟

قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار..

فقال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة.. والله يا أبا الفضل.. لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً.

قال: قلت.. يا أبا سفيان.. إنها النبوة..

قال: فنعم إذن..

وينطلق أبو سفيان بعد ذلك مسرعاً إلى قومه صائحا بأعلى صوته: يا معشر قريش.. هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به..

فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة.. فأخذت بشاربه.. وقالت: قبحت من طليعة قوم..

قال: ويلكم. لاتغرنكم هذه من أنفسكم.. فإنه قد جاءكم بما لاقبل لكم به.. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..

قالوا: قاتلك الله.. وما تغنى عنا دارك؟

قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.. ومن دخل المسجد فهو آمن.. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

ويدخل الرسول ﷺ مكة راكباً راحلته منحنياً على رحله.. تواضعًا لله وشكراً..

وأسامة بن زيد من ورائه..وكان ذلك فى صبح الجمعة لعشرين يوماً خلت من شهر رمضان..

وبعد أن استراح قليلاً فى قبة كانت قد نصبت له فى الحجون.. سار بعد ذلك وبجانبه أبو بكر يحادثه.. وهو يقرأ سورة الفتح.. حتى وصل إلى البيت .. وطاف حوله سبعاً على راحلته..

وكان حول الكعبة حينذاك ثلاثمائة وستون صنمًا.. فجعل ﷺ يطعنها بعود فى يده.. وهو يقول: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾(١).

ثم أمر بها فأخرجت من البيت العتيق حتى يؤدى رسالته التى من أجلها رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعده .. وهى عبادة الله الواحد الأحد الذى: ﴿..... لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾(٢).

---

(١) سورة سبأ آية ٤٩.　　(٢) سورة الإخلاص آية ٣ -٤.

ثم بعد ذلك .. وبعد أن دخل الكعبة.. وكبر فى نواحيها.. وصلى فى مقام إبراهيم عليه السلام.. وشرب من ماء زمزم.. جلس فى المسجد.. فإذا بالعيون شاخصة إليه.. والناس حوله ينظرون.. ما هو فاعل بمشركى قريش الذين كادوا له ولأصحابه بعد أن مكنه الله منهم..

لقد نظر إليهم وهم يرتعدون أمامه.. ثم قال لهم: «ماتظنون أنى فاعل بكم»؟

قالوا: خيراً - أخ كريم وابن أخ كريم..

فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»..

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[1].

فكان لابد لهذا الرسول العظيم ﷺ الرءوف الرحيم.. رحمة الله للعالمين.. أن يقدم الشكر لله تعالى .. وأن يبذل العرفان للحق جل وعلا على نعمة الفتح المبين وذلك.. بالعفو عنهم عند القدرة عليهم..

هذا العفو الكريم والخلق العظيم.. الذى كان من أهم نتائجه.. وأولى ثمراته أن دخل الناس فى دين الله أفواجا..

وكل هذا .. من بركات الشهر الكريم - شهر رمضان.. الذى سيظل نصراً وفتحا مبيناً للإسلام والمسلمين.. إلى يوم الدين.

---

(١) سورة الحج آية ٤١.



عيد الفطر

«إن لكل قوم عيداً.. وإن اليوم عيدنا»

حديث شريف

صلاة العيدين

١ - هى سنة مؤكدة على كل من تجب عليه صلاة الجمعة.. ويدل على أنها من السنن المؤكدة مواظبة النبى ﷺ عليها منذ أن شرعها الله تعالى.. وهى من شعائر الإسلام التى ينبغى على المسلم أن يحافظ عليها محافظة تامة..

٢ - وقد شرعت فى السنة الأولى من الهجرة... فقد روى أبو داود عن أنس بن مالك .. قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة.. ولأهلها يومان يلعبون فيهما.. فقال الرسول ﷺ ما هذان اليومان..؟ قالوا: يارسول الله .. هذان يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية.. فقال: إن الله تعالى قد أبد لكما خيراً منهما.. يوم الأضحى ويوم الفطر»(١).

ويستحب لهما الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب.. وكان النبى ﷺ ، يلبس لهما أجمل ثيابه.. وكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة.. وعن الحسن .. قال: أمرنا رسول الله ﷺ فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد.. وأن نتطيب بأجود ما نجد.. وأن نضحى بأثمن ما نجد..».

هذا .. ويسن الأكل قبل الخروج إلى الصلاة فى عيد الفطر.. وتأخير ذلك فى عيد الأضحى حتى يرجع من المصلى .. فيأكل من أضحيته إن كان له أضحية.. وكان النبى ﷺ لايغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً(٢).. وعن بريدة قال: «كان النبى ﷺ لايغدو يوم الفطر حتى يأكل.. ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع»(٣).

٣ - ويبدأ وقتها عند جمهور الفقهاء بعد ارتفاع الشمس عند الأفق بمقدار ثلاثة أمتار.. أى: ما يقرب من عشرين دقيقة.. ويمتد حتى الزوال.. فعن جندب (رضى الله عنه) قال: «كان النبى ﷺ يصلى بنا صلاة عيد الفطر.. والشمس قدر رمحين.. ويصلى بنا صلاة عيد الأضحى.. والشمس على قدر رمح» والرمح يقدر بثلاثة أمتار. وقد أخذ العلماء من ذلك.. استحباب تعجيل صلاة عيد الأضحى.. وتأخير صلاة عيد الفطر..

٤ - وقد شرعت الأعياد فى الإسلام لحكم سامية.. ومقاصد عالية.. من أهمها: أن تكون

---

(١) رواه أبو داود. (٢) رواه البخارى وأحمد.

(٣) رواه الترمذى وأحمد.

استجماماً للأبدان.. وراحة للأجساد.. وشكراً لله تعالى على نعمه.. وزيادة في جمع المسلمين على الإخاء والتآلف والتزاور والتعاون..

٥ - وكيفيتها: أنها ركعتان كسائر النوافل.. يصليان قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة.. ينوى بها صلاة العيد.. في قلبه.. دون تلفظ.. فالنية محلها القلب.. وبعد تكبيرة الإحرام ودعاء الاستفتاح .. وقبل القراءة يكبر سبع تكبيرات.. وكان النبي ﷺ يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة .. قدر قراءة آية.. ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرات.. وقد استحب أحمد والشافعي الفصل بين كل تكبيرتين.. بذكر الله تعالى: سبحان الله .. والحمد لله.. ولا إله إلا الله.. والله أكبر.. ثم يقرأ بالفاتحة.. ثم السورة .. ويندب أن تكون سورة «الأعلى».. وأما في الركعة الثانية.. فيكبر بعد تكبيرة القيام.. وقبل القراءة خمس تكبيرات ويندب أن يقرأ بعد الفاتحة سورة «الغاشية».

٦ - بعد الصلاة يخطب الإمام المصلين خطبتين يجلس بينهما جلسة استراحة.. كما هو الحال في خطبة الجمعة.. إلا أن الجمعة تبدأ بالحمد.. أما العيد فيبدأ بالتكبير.. وذلك بتسع تكبيرات.. في الركعة الأولى.. وسبع تكبيرات في الثانية.. وتختم الخطبة بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وينبغي أن تشمل خطبة عيد الفطر .. على أحكام صدقة الفطر.. وخطبة عيد الأضحى على أحكام الأضحية.. وعلى غير ذلك من معاني المحبة والإخاء.. وصلة الأرحام.. والعطف على المحتاجين.. ونبذ الخلاف.

٧ - ويستحسن أداء صلاة العيدين بالصحراء أو في مكان متسع خارج المساجد مالم يكن هناك عذر كمطر ونحوه. إلا في مكة.. فإن من الأفضل صلاتهما في المسجد الحرام لشرف البقعة.. ومشاهدة الكعبة.

٨ - ولم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها أو بعدها.. لما رواه الشيخان عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: «خرج النبي ﷺ يوم الفطر.. فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولابعدهما».

٩ - كذلك لم يثبت أن صلاة العيد كانت بأذان أو إقامة.. فقد روى الشيخان عن جابر (رضي الله عنه) قال: صليت مع رسول ﷺ العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة.. وقد أخرج البيهقي عن طريق الشافعي: أن رسول الله ﷺ كان يأمر المؤذن في العيدين أن يقول : الصلاة جامعة.

١٠ - ومن فاتته صلاة العيد مع الإمام .. يسن له أن يقضيها..

١١ - وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد.. وجب أداء كل صلاة منهما على حدة.. دون أن يغنى أحدهما عن الآخر.

١٢ - والتكبير فى العيدين سنة.. قال تعالى فى أيام الصيام: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(1).

ويبدأ التكبير بالنسبة لعيد الفطر من بعد فجر يوم العيد.. وينتهى بانتهاء صلاة العيد!!

أما بالنسبة لعيد الأضحى.. فيبدأ من فجر يوم عرفة.. وينتهى عقب صلاة العصر .. من آخر أيام التشريق.. وهو اليوم الرابع من أيام العيد.. وأيام التشريق هى الأيام الثلاثة التى تلى يوم العيد!!

صيغة التكبير

«الله أكبر . الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر ولله الحمد.. الله أكبر كبيرا.. والحمد لله كثيرا .. وسبحان الله بكرة وأصيلاً.. لا إله إلا الله وحده.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعز جنده.. وهزم الأحزاب وحده.. لا إله إلا الله .. ولانعبد إلا إياه.. مخلصين له الدين .. ولوكره الكافرون..

اللهم صل على سيدنا محمد.. وعلى آل سيدنا محمد.. وعلى أصحاب سيدنا محمد.. وعلى أنصار سيدنا محمد.. وعلى أزواج سيدنا محمد.. وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً..»(*).

١٣ - خروج النساء والصبيان.. فى العيدين للمصلى.. من غير فرق بين البكر والثيب.. والشابة والعجوز والحائض .. لحديث أم عطية.. قالت: أمرنا أن نخرج العواتق والحُيَّض

---

(1) سورة البقرة آية ١٨٥.

(*) يستحب التكبير فى أيام التشريق وهى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة.. فى كل الأوقات وفى كل الأماكن فى المساجد والبيوت والأسواق.. وكان عمر (رضى الله عنه) يكبر فى قبة بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون .. ويكبر أهل السوق حتى يرتج منى تكبيراً.. وكان يكبر خلف الصلوات.. وعلى فراشه وفى فسطاطه ومجلسه وممشاه.. تلك الأيام جميعاً.. وكانت ميمونة تكبر.. وكان النساء يكبرن مع الرجال في المسجد.. خلف عمر بن عبد العزيز..

فى العيدين.. يشهدن الخير.. ودعوة المسلمين.. ويعتزل الحُيَّض»[1].. وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ كان يخرج نساءه وبناته فى العيدين[2].. وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: خرجت مع النبى ﷺ يوم فطر أو أضحى فصلى.. ثم خطب.. ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن.. وأمرهن بالصدقة[3]..

١٤ - مخالفة الطريق.. فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب الذهاب إلى صلاة العيد من طريق .. والرجوع من طريق آخر سواء كان إماما.. أو مأموماً.. فعن جابر (رضى الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق[4].. وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى العيد يرجع فى غير الطريق.. الذى خرج فيه[5]..

١٥ - اللعب المباح.. واللهو البرىء.. والغناء الحسن والأكل فى الأعياد.. من شعائر الدين التى شرعها الله فى يوم العيد.. رياضة للبدن وترويحاً عن النفس.. قال أنس (رضى الله عنه): قدم النبى ﷺ المدينة .. ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما: يوم الفطر.. ويوم الأضحى»[6].

هذا وقد روت عائشة (رضى الله عنها) قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ .. وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث(*).. فاضطجع على الفراش.. وحول وجهه.. ودخل أبو بكر فانتهرنى.. وقال: مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ.. فأقبل عليه النبى ﷺ فقال: دعهما يا أبا بكر حتى تعلم يهود.. إن فى ديننا فسحة.. إنى بعثت بحنيفية سمحة» ثم قال ﷺ .. يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وإن اليوم عيدنا»[7].

١٦ - استحباب التهنئة بالعيد.. لازدياد الألفة.. وإفشاء المودة .. وتوثيق المحبة.. فعن جبير بن نفير.. قال كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد.. يقول بعضهم لبعض: «تقبل منا ومنك».

ويوم العيد هو يوم الجائزة.. قد سمى عيداً لأن المسلمين.. قد عادوا فيهما من طاعة الله

(١) متفق عليه.
(٢) رواه ابن ماجه والبيهقى.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه أحمد والشيخان.
(٦) رواه أحمد.
(*) اسم حصن للأوس.. ويوم بعاث يوم من أيام العرب المشهورة.. كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج..
(٧) رواه النسائى وابن حبان.

تعالى.. التى هى أداء فريضتى صيام رمـضان والحج.. إلى طاعة رسول الله ﷺ التى هى صيام ست من شوال.. والتأهب لـزيارة النبى ﷺ .. ولكثرة عوائد الله تعالى فـيه بالإحسان.. ولعود السرور.. والابتهاج.. والألفة .. والمحبة بين المسلمين..

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: زينوا أعيادكم بالتكبير.. وعن وهب (رضى الله عنه) أن الله تعالـى خلق الجنة يوم عـيد الفطر.. وغـرس شجرة طوبى يـوم عيد الفطر.. واصـطفى جبريل للـوحى يوم عيد الفطر.. وتاب عـلى سحرة فرعون يوم عيد الـفطر.. وقال رسول الله ﷺ: من قام ليلة العيد محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب!!

وجاء عـن عمر (رضـى الله عنه) أنـه رأى ولده يوم العـيد وعلـيه قمـيص خلـق (قديم) فبكى.. فقال ما يبكيك يا أبت؟!.. فقال عمر (رضى الله عنه). أخشى أن ينكسر قلبك فى يوم العيد إذا رآك الصبيان بهذا القميص .. فقال الغلام: إنما ينكسر قلب من حرمه الله رضاه.. أو عق أمه وأباه.. وإنى لأرجو أن يكون الله راضياً عنى برضـاك.. فليس العيد لمن لبس الجديد.. وإنما العيـد لمن حسناته تزيـد.. فبكى عمر (رضى الله عـنه) وضمه إليه ودعا لـه.. وسمى يوم العيد بيوم الجائزة.. لأنه إذا كان يوم عيد الفـطر.. بعث الله الملائكة .. فيهبطون إلى الأرض.. ويقومون على أفواه السكك .. فينادون بـصوت يسمعه جميع خلق الله .. إلا الجن والإنس.. يقـولون: يا أمة مـحمد.. اخـرجوا إلى رب كريم.. يـعطى العـطاء الجزيـل.. ويغفر الـذنب العظيم فإذا برزوا إلى مصلاهم.. قال الله للملائكة: ما جزاء الأجير إذا عمل؟..

فيقولون: جزاؤه أن يوفى أجره..

فيقول الله سبحانه وتعالى: أشهدكم أنى قد جعلت ثوابهم رضائى ومغفرتى!!

الأيام الستة و الأيام البيض

«من صام رمضان وأتبعه بست من شوال.. خرج من ذنوبة كيوم ولدته أمه»
حديث شريف

الأيام البيض

الأيام البيض: هى الأيام التى يكتمل فيها القمر بدراً.. وتظهر فيه الـليالى بيضاء من شدة نوره.. وهى أيام ثلاثة فى كل شهر عربى: الثالث عشر.. والرابع عشر.. والخامس عشر.. وهى تتكرر كل شهر عربى.. وليلة البدر: ليلة أربع عشرة.

وهى أحب الأيام إلى الله تعالى.. فيتقرب إلى الله فيها بالصيام والقيام.. وهى التى أمرنا رسول الله ﷺ بصيامها كل شهر حتى تكتمل لنا الخيرات.. وتتم لنا النفحات..

والفكرة منها.. أنها ثلاثة أيام فى كل شهر.. عملاً.. بثلاثين يوماً.. ثواباً.. فالحسنة بعشر أمثالها.. فيكون من صام ثلاثة أيام فى الشهر كأنما صام الشهر كله.. وهو يفعل ذلك كل شهر فيكون كمن صام كل شهر.. وهو يفعل ذلك كل عام.. فيكون كمن صام كل عام.. ومن صام كل عام.. فقد صام الدهر كله.

الأيام الستة البيض

أما الأيام الستة البيض.. فهى الأيام التى تلى شهر رمضان .. وسميت بذلك .. لأنها تبيض الأعمال.. وتبيض الوجوه.. وتبيض القلوب..﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

فبيضوا وجوهكم بالأيام الستة البيض!!

وبيضوا قلوبكم بالأيام الستة البيض!!

وبيضوا أعمالكم بالأيام الستة البيض!!

هذا..

وقد رغب رسول الله (ﷺ)، فى صيام هذه الأيام البيض.. فعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال.. قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال.. خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(٢).

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط.

أى: نقياً من الذنوب كما كان يوم مولده.. كما روى الجماعة إلا البخارى والنسائى عن أبى أيوب الأنصارى: أن النبى ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر»(١).

وعند أحمد: «أنها تؤدى متتابعة.. وغير متتابعة.. ولافضل لأحدهما على الآخر».

وعند الحنفية والشافعية: «الأفضل صومها متتابعة عقب العيد».

قال: النووى فى شرح مسلم: «والأفضل أن تصام الست متوالية عقب يوم الفطر.. قال: فإن فرقها أو أخرها من أوائل شوال إلى آخره حصلت فضيلة المتابعة لأنه يصدق أنه أتبعه ستاً من شوال».

وعن ثوبان (رضى الله عنه) مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»(٢).

وقال ﷺ : «جعل الله الحسنة بعشر أمثالها.. فشهر بعشرة أشهر.. وصيام ستة أيام بعد الفطر تمام السنة»(٣).

وقال الهادى البشير ﷺ: «صيام شهر رمضان بعشرة أشهر.. وصيام ستة أيام بشهرين.. فذلك صيام السنة»(٤).

وقال المصطفى ﷺ: «من صام رمضان وستاً من شوال.. فقد صام السنة»(٥).

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر»(٦).

ومعنى ذلك.. أن من صام رمضان ثلاثين يوماً.. وصام ستاً من شوال.. يكون مجموعها ستة وثلاثين يوماً.. والحسنة بعشر أمثالها.. فيكون حاصل ضربهما ثلاثمائة وستين يوماً.. بعدد أيام السنة.. فكأنه صام السنة كلها.. وهو يفعل ذلك كل عام.. فيكون قد صام الدهر كله..

---

(١) الحسنة بعشر أمثالها.. ورمضان بعشرة شهور والأيام الستة بشهرين.

(٢) رواه ابن ماجه والنسائى. (٣) رواه ابن خزيمة.

(٣) رواه ابن حبان. (٥) رواه أحمد والبزار.

(٦) رواه البزار.

وهكذا..

فإن الترغيب واضح فى صيام الأيام الستة.. من شوال.. بما يؤكد على فضلها وعلو قدرها.. وذلك لأنها تأتى بعد رمضاء رمضان.. وصيام ثلاثين يوماً متتابعة.. فتكون أشق على النفس.. وأصعب على المرء .. إلا على من يسرها الله عليه.. كما أنها تأتى فى أيام عيد .. وهى أيام أكل وشرب ومرح وسرور وتكون النفس فيها أقرب الى الانطلاق منها إلى التقيد.. فيشق على النفس حجبها عن طيبات أحلت لها.. بعد حرمان دام شهراً كاملاً.. ولهذا جاء عظيم ثوابها.. من عظيم صومها .. وجليل قدرها.. من جليل صبرها..

كما أن هذه الأيام جبر للشهر الكريم شهر رمضان..

فكما أن للصلاة سنناً ونوافل تؤدى بعدها أو قبلها.. تجبرها من السهو والنسيان إلخ.. كذلك لصيام رمضان.. سنناً ونوافل تؤدى بعده .. تجبره من كل ما قد يعتريه من نقصان.. إلخ..

وهكذا..:-

فقد سن رسول الله ﷺ صيام ست من شوال.. عقب رمضان.. ليحفظ لأمته ثواب رمضان دون نقصان.. بل زيادة فى الاطمئنان .. وزيادة فى المثوبة والغفران.

الحـــج

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

سورة آل عمران آية (٩٧)

الحج عرفة

يقول تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾(١).

ويقول جل وعلا: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾(٢).

ويقول الهادى البشير ﷺ:

(*) «الحج عرفة»(٣).

(*) «إن من الذنوب ذنوباً لايكفرها إلا الوقوف بعرفة»(٤).

(*) «ومن نزل من على عرفات وظن أن عليه ذنباً لم يغتفر.. فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

(*) «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(٦).

هذا..

وإذا كان المرء يولد مرة.. فإنه يستطيع أن يولد بقلبه مرات..

أين؟.. فى عرفات!

وإذا كان الطفل يخرج من بطن أمه صفحة بيضاء.. فإنه يستطيع أن يخرج من بطن مكة أكثر صفاء..

فالمرء يولد لاذنب له.. فيخوض معركة الحياة بشرها وبخيرها.. فقد تتعلق به بعض الذنوب.. ولهذا أوجب الله عليه الحج ليغتسل منها.. وليعود كيوم أن ولدته أمه.. متطهراً من الذنوب والمعاصى.. فمن حج ولم يرفث.. ولم يفسق .. رجع من ذنوبه كيوم أن ولدته أمه.. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة..

---

(١) و (٢) سورة البقرة آية ١٩٧ - ١٩٩.
(٣) رواه البخارى ومسلم.
(٤) رواه أحمد.
(٥) رواه أبو داود.
(٦) متفق عليه.

من حج بيتك واعتمر	وجثا ببابك واعتذر
وبكى الذنوب جميعها	وسما عليها واعتبر
أخرجته وغسلته	من ذنبه مهما كبر
وكيوم مولده يعود	إلى الحياة بلا أثر
براً طهوراً ناصعاً	متلألئاً مثل القمر
من ظن أن عليه ذنباً	بعدها لم يغتفر
أو ظن شيئاً مثل هذا	عالقاً فلقد كفر(*)

هذا..

ولقد وقف رجل على جبل عرفات يلبى: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لاشريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك.. وقد أخذ سبع حصيات يسبح عليها.

وقال لها: أيتها الحصيات إنى أشهد ألا إله إلا الله .. وأن محمداً رسول الله ﷺ فكونى شاهدة لى يوم القيامة.. ولما كان يوم القيامة.. يوم الحسرة والندامة.. وكان الرجل مسرفاً على نفسه.. وحملته الملائكة إلى النار.. وكلما أرادت أن تدخله من باب من أبوابها .. أغلق دونه.. حتى أغلقت أبواب النار السبعة.. فقالت الملائكة: يارب لانستطيع أن ندخله النار!!..
فقال الله تعالى: ياملائكتى .. لقد أشهد سبع حصيات فشهدت له.. أتشهد له الحصيات «ولايشهد له رب السموات..»؟

أتشهد له الحصيات السبع.. ولايشهد له رب السموات السبع؟ أتشهد له الحصيات السبع.. ولايشهد له رب الأراضين السبع؟.. خذوا بيده إلى الجنة..

لقد تقبل الله منه سبع حصيات.. ورباها له.. حتى صارت جبالاً سبعة تحجب عنه أبواب النار السبعة كما يشاء.. وتفتح له أبواب الجنة الثمانية.. يدخل من أيها شاء..

(*) من شعر المؤلف.

رحم القلوب

عرفات يارحم القلوب	ياظل علام الغيوب
فالواقفون على بساطك	ينزلون بلا ذنوب
والله في عليائه	مُدت يداه لمن يتوب
وجميع أبواب السماء	تفتحت قبل الغروب
وتقبل الله الدعاء	وقد تطهرت القلوب
والله جل جلاله	غفر الذنوب لمن يتوب(*)

كلمة حق

وتبقى كلمة حق أقولها.. وأريد بها وجه الله تعالى.. أو جهها إلى كل حاج أدى الفريضة.. ولاسيما الذى يذهب كل عام...

أقول له: كفى مرة أو مرتين أو ثلاثة.. ولا تجعلها عادة.. وأفسح المجال لغيرك.. فإن إخوانك الحجاج الذين يحجون لأول مرة.. لايستطيعون أداء مناسكهم على الوجه الأكمل من شدة الزحام.. ومعظمهم من كبار السن والعجزة.. الذين جاءوا من كل فج عميق.. لأول مرة.. ليختموا حياتهم بهذه الفريضة المباركة.. وقد تكبدوا فى سبيلها كل غال ثمين .. فى حين يزاحمهم عليها من أدوها مرات ومرات .. والذين جاءوا متطوعين مراراً وتكراراً.. فأحب لأخيك ما تحب لنفسك.. وأخلص العمل يكفك منه القليل.. ولاننسى أن النبى ﷺ قد حج مرة واحدة..

وأهمس فى أذنيك أخى الحاج.. وأقول لك: فضلاً عن تكاليف الحج الباهظة فى هذه الأيام.. فإن مبلغاً كهذا الذى تضحى به كل عام.. لو أنك رفعت به كوخاً آيلاً.. أو حصنت به شاباً ضائعاً.. أو سترت به فتاة مسكينة.. أو ساعدت به قريبا ذا حاجة.. أو دفعت به لمريض بين الحياة والموت.. وما أكثر المرضى فى هذه الأيام.. لو أنك أنقذت به مريضاً.. أو

(*) من شعر المؤلف.

حررت به سجينا.. أو أحييت به مدينا.. لو أنك فعلت هذا أو شيئاً من هذا.. كان خيراً لك من ألف حجة بعد الحجة المفروضة.. والتي تقوم بها كل عام.. دون أن تنظر إلى هؤلاء المرضى .. أو أولئك الجوعى أو أولئك الثكلى!!..

وما قصة عبد الله بن المبارك منا ببعيد..

فقد خرج ذات عام لأداء فريضة الحج.. ومعه خاصته.. وفى الطريق شاهد امرأة عجوزاً.. تخرج من كوخها فى ثياب مهلهلة.. وتنزل إلى شاطئ نهر.. وتعود بطائر ميت.. يطفو على سطح الماء.. لتطهوه لأولادها.. فيتجه إليها عبد الله بن المبارك ويسألها عن سبب هذا؟ فتقول له: إننا جوعى لانملك قوت يومنا.. وهؤلاء أولادى يتضورون جوعاً.. والميتة حلال لنا.. حرام عليكم.. ويسمع عبد الله بن المبارك أولادها يتصايحون من شدة الجوع:

أمى.. أكاد أموت جوعاً..

أمى.. ارحمى منى الضلوعا..

أمى.. ألا أحظى بقوت قبل أن أمضى صريعاً..

فيبكى عبد الله بن المبارك.. ويأمر وزيره بأن يدفع بكل مامعه من مال ومتاع لهذه المرأة.. ولأولادها.. ولايبقى معه إلا القدر الذى يسمح بعودتهم إلى ديارهم.. دون حج.. فيقول له: والحج ياسيدى؟..

فيقول له: لن أحج هذا العام..

ويعود عبد الله بن المبارك من منتصف الطريق وهو يئن ويبكى مما سمع وشاهد.. وعندما عاد أصحابه من موسم الحج.. جاءوا يهنئونه ويباركون له بالحج.. فيقول لهم: إننى لم أحج هذا العام!.. فلقد عدت من منتصف الطريق!!.

قالوا: .. كيف هذا.. ولقد كنت معنا تطوف حول الكعبة.. ولقد كنت معنا تسعى بين الصفا والمروة.. وكنت معنا تلبى على عرفات.. وكنت معنا تجمع الحصى بالمزدلفة.. وتذبح فى منى.. وتشرب من زمزم.. وتدعو بالحطيم.. وكذا وكذا؟!. فبكى عبد الله بن المبارك.. وعلم أن الله تعالى قد بعث ملكاً على هيئته يحج عنه.. ورب حاج لم يحج.. ذهب بروحه

وترك جسمه .. فحجت روحه وحج وإن لم يحج.. ورب حاج لم يحج .. ذهب بجسمه وترك روحه متعلقة بالدنيا.. فحج جسمه ولم يحج..

وصدق رسول الله ﷺ : «رب حاج لم يحج».

فأخلص العمل يكفك منه القليل..

اللهم اجعل أرواحنا وقلوبنا.. والأنفاس منا والأجسام.. كحمام السلام.. حول بيتك الحرام.. والركن والمقام.. تطوف وتسعى .. على مدى الأيام..

يا أهل النور

يا أهل النور ذنب مغفور
يا أهل النور سعي مشكور
يا أهل النور حج مبرور
يا أهل النور يا أهل النور

يا أهل النور

يا حاج البيت قد جئت لتأتي
في نفس الوقت لتطوف وتسعى
وتجوب المسعى سبعاً لاتسعا

وعلى عرفات أحلام حياتي
والعفو الآتي بشرى بنجاتي
يوم النزلات وتزف البشرى

سبع سماوات

يا حاج البيت لك في الفردوس
بصفاء النفس بيت بالأنس

بني على خمس

بـــيــــت مــــن نـــور بـــيـــت مـــعـــمـــور
بـــبـــنـــــات الحـــور وســـط الـــكـــافـــور

يا أهل النور

يـــا أهـــل الـــنـــور ذنـــب مـــغـــفـــور
يـــا أهـــل الـــنـــور ســـعـــى مـــشـــكـــور
يـــا أهـــل الـــنـــور حـــج مـــبـــرور
يـــا أهـــل الـــنـــور يـــا أهـــل الـــنـــور(*)

يا أهل النور

أول بيت و ضع للناس

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(1).

ويقول الهادى البشير ﷺ:

«من ملك زاداً ونافلة ولم يحج.. فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»(2).

«الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(3).

ويقول ﷺ:

أتـيـنـاكـم أتـيـنـاكـم نـحـيـكـم نـحـيـكـم
ولـولا الحـبـة الـسـمـراء(4) لـم نـحـلـل بـواديـكـم

(*) من شعر المؤلف.
(1) سورة آل عمران آية ٩٦، ٩٧.
(2) رواه الترمذى وغيره.
(3) رواه أحمد وغيره.
(4) الحبة السمراء: الكعبة المشرفة.

سمراء

سمراء يا أصل المحبة	يا ملتقى خير الأحبه
يا من جمعت الناس حولك	للهدى والنور صحبه
حتى التقى بك كل ناء	بعد أسفار وغربه
ثم احتمى بك فى حياء	كى يناجى فيك ربه
أو لست للهادين نوراً	كان للعاصين توبه
سمراء إلا أنها	نور وإيمان وقربه
ته ما اسمها خاف عليكم	اسمها الميمون كعبه
جاء اسمها من رسمها	وسمارها بيض المحبه
فهى العروس وكلنا	يسعى إليها بعد توبه
وتجمع العشاق حول	جمالها من كل نخبه
كل يمد لها يديه	وكله شوق ورغبه
وعلى شواطى زمزم	سارت به ضمن الأحبه
فإذا أتى يوم الزفاف	وكل قلب رام حبه
وخلت به وخلى بها	فى موقف يزداد رهبه
شفعت له ولقومه	ولمن قضى فى الحب نحبه[1]

هذا وقد ورد أن: الكعبة تأتى عروساً يوم القيامة.. قد أخذت أبهى زينتها.. تسبح فى بحر من نور.. وعليها تاج من نور.. وثياب من نور.. وتحف بها الحور.. وسط الكافور.. وأنها تقف تحت ساق العرش.. وتقول: أى ربى .. زوارى وعوادى الذين قصدونى .. وطافوا حولى .. وقبلوا يمينك فى الأرض.. شفعنى فيهم.. واقبل شفاعتى فيهم..

فيقول الله عز وجل: قد شفعتك فيهم.. وقبلت شفاعتك فيهم.. فاشفعى تشفعى..

---

(١) من شعر المؤلف.

فتقول: أى ربى .. زوارى وعوادى الذين قصدونى وحالت الأقدار بينى وبينهم.. شفعنى فيهم.. واقبل شفاعتى فيهم ..

فيقول الله عز وجل قد شفعتك فيهم.. وقبلت شفاعتك فيهم.. فاشفعى تشفعى..

فتقول: أى ربى .. زوارى وعوادى الذين اشتاقوا إلى .. ولم يستطيعوا الوصول إلىّ.. شفعنى فيهم.. واقبل شفاعتى فيهم.

فيقول الله عز وجل: قد شفعتك فيهم.. وقبلت شفاعتك فيهم.. فاشفعى تشفعى.

هذا وقد ورد: أن الكعبة تستأذن ربها كل عام.. فى زيارة قبر النبى ﷺ فيأذن لها.. وأن رسول الله ﷺ يسألها عن حال أمته..

فتقول: يارسول الله لاتعبأ بثلاثة من أمتك:

(*) من زارنى وطاف بى.

(*) من قصدنى وحالت الأقدار بينى وبينه.

(*) من اشتاق إلىّ ولم يستطع الوصول إلىّ..

فهؤلاء الثلاثة أشفع لهم يارسول الله يوم القيامة..

ولا غرو فى هذا: فإن الله تعالى قد خلق الكعبة.. وجعل لها عينين.. وجعل لها لسانا.. وجعل لها شفتين.. وأنها تتكلم.. وتتألم.. وأنها اشتكت إلى ربها قديماً.. فقالت: أى ربى .. قل زوارى وعوادى..

فقال الله عز وجل: ﴿وعزتى وجلالى.. لأخلقن خلقاً.. يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها﴾.

وصدق الله العظيم.. فقد خلق الله خلقاً يأتون إليها من كل فج عميق..

يسعون إليها خاشعين.. ويلبون إليها طائعين.. يدفعهم الشوق والحنين.. وقد تركوا المال والبنين.. والأهل والوطن.. والغالى والثمين.. ولن ينتهى الطواف ولن يتوقف أبداً.. ولن ينقطع.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

أول قبلة

في حرمة البلد الأمين ... ومنارة الوحي المبين
من عند أول قبلة ... وضعت هدى للعالمين
أبصرت مكة كلها ... مكتظة بالمسلمين
الطائفين العاكفين ... الراكعين الساجدين
مثل النجوم مرصعين ... وكالكواكب سابحين
تركوا لأجلك مالهم ... وديارهم.. تركوا البنين
تركوا لأجلك يا إلهي ... كل غال أو ثمين
ويشدهم لجلال وجهك ... منسك في كل حين
والروح جوهرة الهدى ... والقلب لؤلؤة الحنين
جاءوا إليك مغبرين ... من الشمال إلى اليمين
يبكون خوف ذنوبهم ... في موقف يندى الجبين
لايبتغون سوى رضاك ... وكلهم شوق دفين
لتعينهم فيما أتوه ... وأنت يارب المعين
وتردهم من بعد فضلك ... غانمين وسالمين
لا ذوا ببابك خائفين ... وأنت أمن الخائفين
فارحم وفود المسلمين ... بحق خير المرسلين
من جاء للدنيا جميعاً ... رحمة للعالمين(1)

هذا وقد ورد:

أن الله تعالى يُنزّل على الكعبة كل يوم مائة وعشرين رحمة:

(*) عشرون منها للناظرين..

---

(1) من شعر المؤلف.

(*) وأربعون منها للطائفين..

(*) وستون منها للركع السجود..

هذا...:

وعندما طاف عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بالكعبة وَقَبَّلَ الحجر.. قال له الرسول ﷺ: «ياعمر لاتزاحم على الحجر.. فإنك رجل قوى.. فقد تؤذى الضعيف: المرأة والشيخ والمريض.. ولكن إذا وجدت خلوة فاستلم.. فإن لم تجد فقبل وامض».

هذا...:

وعندما طاف عمر (رضى الله عنه) بالكعبة وقبل الحجر.. قال له: والله إنى أعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع.. ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك!!

فقال علىّ (كرم الله وجهه): بل يضر وينفع يا أمير المؤمنين.. فقال عمر (رضى الله عنه) كيف ذلك يا على؟!

قال (كرم الله وجهه): عندما خلق الله الخلق وأخذ عليهم العهد والميثاق.. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[1] أشهد الحجر فمن قبل الحجر تذكر العهد..

وأن الحجر يأتى يوم القيامة وله عينان ولسان.. وأنه يشهد لكل من قبل واستلم.. وطاف وسعى..

وأن الحجر قد نزل به جبريل عليه السلام من الفردوس الأعلى.. وأنه كان أشد بياضا من اللبن وما سودته إلا ذنوب العباد..

وأن الحجر يمين الله فى الأرض يصافح الله به عباده.

يمين الله فى الأرض

وقبِّل ليس بالفرض	يمين الله فى الأرض
فإن لم تستطع فأشر	إليه مكبراً وامضى
ولاتركن إلى طول	ولاتركن إلى عرض

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢.

فــإن الـــنــــاس إخـــوان ... وبـعـض الـنــاس مـن بـعـض
فــألـق الـشــوك والـشــكـوى ... فــإنــك داخــل الـــروض
فــكــل زخـــارف الـــدنـــيـا ... ســـراب زائـــل يمــضـــى
ومـــــــــــا لله لله ... ومـــا لـــلأرض لـــلأرض
فـــهــذا الأســـود الجــاثـــى ... بـــهـــذا الحـــالـــك المحـض
أتـــى جــبــريـل يـــحـــمـــلـه ... مـن الـــفـردوس كـــالـبـيـض
فــكـــان كـــطــائـــر غـــر ... يـــلـوح بـــلــونــه الــفـضـى
لــيـــجـــلـــو كــل مـــســود ... ويــضـــوى كــل مـــبــيــض
ومـــــا ســــــــــوداؤه إلا ... ذنـوب الـنـاس فـى الأرض[1]

فى رحاب النور

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[2].

ويقول الهادى البشير ﷺ:

(*) «صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.. وصلاة بالمسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه»[3].

(*) «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة وإن منبرى لعلى حوضى»[4].

(*) «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام.. ومسجدى هذا.. والمسجد الأقصى»[5].

---

(١) من شعر المؤلف.
(٢) سورة النساء آية ٦٤.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه أحمد.
(٥) رواه البخارى

وادى الصفا

إلى رحاب النور فى وادى الصفا   نزلت أرض الله أبغى المصطفى
نور على نور تلألأ فى صفا   لايترك المهموم إلا فى صفا
يوم تلألأ فيه نور «محمد»   بين القلوب فماج فيهم واحتفى[1]

السلام

السلام عليك يا حبيبى يارسول الله .

السلام عليك يا خير خلق الله..

السلام عليك ياسيد الأولين والآخرين..

السلام عليك يا سيد ولد آدم أجمعين..

السلام عليك يا قائد الغر المحجلين..

السلام عليك يا رحمة الله للعالمين..

أشهد أنك بلغت الرسالة.. وأديت الأمانة.. ونصحت الأمة.. وكشفت الغمة.. وجاهدت فى الله حق جهاده.. فجزاك الله خير ما جازى نبياً عن أمته..

أما بعد

فياحبيبى يارسول الله .. وأنا بين يديك.. ماذا أهدى إليك.. وأعظم شيء قليل عليك.. لا أجد إلا صلاتى عليك.. لأنثر باقة ورد عليك..

فأجمل منك لم تر قط عينى   وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

هذا...:

وقد روى الإمام العتبى (رضى الله عنه) قال:

بينما أنا جالس بالروضة الشريفة.. إذ جاء أعرابى.. فصلى ركعتين ودعا الله تعالى ..

(١) من شعر المؤلف.

قائلاً: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(١).

فياحبيبي يارسول الله .. إني أشهدك أني قد تبت إلى الله تعالى واستغفرت.. وجئتك يارسول الله تستغفر لي الله تعالى .. وبكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي تتوق لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الطهر والكرم

ثم انصرف.. فأخذتني سنة من النوم..

فرأيت رسول الله ﷺ في المنام - فقال لي: يا عتبي .. أدرك الأعرابي.. وقل له: إن الله قد غفر لك..

رب اغفر لي واصفح عني:

رب افتح لي كنز الحب ... أجمع لؤلؤة في قلبي

وافتح لي فردوس القرب ... أقطف زهرة كل محب

كي آتيك وليس بقلبي ... حب إلا حبك ربي

فأرى وجهك ليل نهار ... وأرى سبحاتك عن قربي

فلعل ضياءك يغمرني ... ولعلك تغفر لي ذنبي

أو تتجلى فيه عليَّ ... لأصير على أتقى قلب

فعلى قلبي فجِّرَ حبك ... أضواء في بحر عذب

أتوضأ فيها وأصلي ... وأطوف وأسعى وألبي

فإذا سجد القلب وصلى ... وتمحض لله بحب

لا يتأود من سجدته ... إلا بلقائك ياربي(٢)

---

(١) سورة النساء آية ٦٤.

(٢) من شعر المؤلف.

هذا...

وقد روى الأصمعى فقال:

وقف أعرابى مقابل الروضة الشريفة متوسلاً برسول الله ﷺ قائلاً:

اللهم هذا حبيبك وأنا عبدك.. والشيطان عدوك.. فإن تغفر لى

سر حبيبك .. وفاز عبدك.. وغضب عدوك.. وإن لم تغفر لى

حزن حبيبك .. وهلك عبدك.. ورضي عدوك.. وأنت أكرم من أن:

تغضب حبيبك .. وتهلك عبدك.. وترضى عدوك..

اللهم إن العرب الكرام.. إذا مات فيهم سيد.. أعتقوا على قبره.. وإن هذا سيد العالمين.. فأعتقنى على قبره..

قال الأصمعى:

فقلت: يا أخا العرب.. أسأل الله تعالى أن يغفر لك.. وأن يعتقك بحسن هذا السؤال..

أسألك القبول

من حجر إسراء الرسول ... من عند فاطمة البتول
من عند أول سورة ... نزلت على قلب الرسول
من فيض إيمان تزول ... له الجبال ولا يزول
من عند من حفظوا كتاب ... الله واعتنقوا الأصول
فى هؤلاء وهؤلاء ... أتيت أسألك القبول

* * *

فلقد علمت بأن حب ... محمد سر الوصول
ولقد علمت بأن طاعة ... أحمد أمر الدخول
وعلى الأوائل فضله ... فضل الربيع على الفصول
فافتح لقلبى باب حبك ... بين أبواب القبول
حتى أظل أنا هنا ... أدعوك فى وجل أقول

يـا سيـدى يـانـور قـلـبـى	جـئـت أسـألـك الـقـبـول
وأردت أن أحـظـى بـحـبـك	قـاصـداً طـه الـرسـول
فـامـنـح فـؤادى نـورك	الـذاكـى الـذى يـجـلـو الـعـقـول
واجـعـل عـطـاءك لـى	شـفـاعـتـه لـنـا يـوم المـثـول
بـجـلال نـور الله فـيـه	وحـق فـاطـمـة الـبـتـول[1]

فى الروضة الشريفة

هذا..: ولقد قيل قديماً: إن الإمام الرفاعى (رضى الله عنه) قبل يد المصطفى ﷺ بالروضة الشريفة.. حين هتف مشتاقاً إليه.. وهو بين يديه:

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها	لتقبل الأرض عنى وهى نائبتى
والآن دولة الأشباح قد حضرت	فامدد يمنيك كى تحظى بها شفتى[2]

دعاء الختام

وفى الختام .. يامسك الختام.. وياخير الأنام.. ونحن فى الأرض العفيفة.. وتحت القبة المنيفة.. وفى الروضة الشريفة.. أدعو بدعاء المصطفى ﷺ: وأمنوا معى: اللهم اجعل في قلبى نورا.. وفى لسانى نورا.. وفى بصرى نورا.. وفى سمعى نورا .. وعن يمينى نورا.. وعن يسارى نورا.. ومن فوقى نورا.. ومن تحتى نورا .. ومن أمامى نورا.. ومن خلفى نورا.. واجعل لى فى نفس نورا.. وأعظم لى نورا.. اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى .. وإسرافى فى أمرى.. وما أنت أعلم به منى..

اللهم اغفر لى هزلى وجدى.. وخطئى وعمدى.. وكل ذلك عندى ..

اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت .. وما أسررت وما أعلنت.. وما أنت أعلم به منى .. أنت المقدم وأنت المؤخر.. وأنت على كل شىء قدير[3]..

اللهم إنى أعوذ بك من عمل يخزينى.. وأعوذ بك من صاحب يؤذينى..

وأعوذ بك من أمل يلهينى .. وأعوذ بك من فقر ينسينى..

وأعوذ بك من غنى يطغينى.. اللهم أصلح لى دينى..

(١) من شعر المؤلف. (٢) من شعر الرفاعى (رضى الله عنه).

(٣) متفق عليه.

قليل منك يكفيني	فثبتني على ديني
لأحيا فيك مسكيناً	وأحيا في المساكين
وقوّ القلب بالتقوى	وقوّ شوكة الدين
وخفف فيك أحمالي	وثقل في موازيني
لآخذ يوم تحييني	كتابي منك بيميني[1]

قصة فداء إسماعيل

يقول تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[2].

ويقول الهادى البشير ﷺ: «أنا ابن الذبيحين».

رؤيا إبراهيم

هذا .. وعندما رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده إسماعيل .. قال: «يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى.. قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إنشاء الله من الصابرين».

عندئذ جاء الشيطان لإبراهيم عليه السلام وقال له: يا إبراهيم ماذا تفعل؟.. أتذبح ولدك وقرة عينك .. وفلذة كبدك.. على رؤيا شيطانية.. وما من الله به عليك إلا بعد ثمانين عاما.. احذر يا إبراهيم.. لاتفعل يا إبراهيم..

قال إبراهيم عليه السلام: اخسأ ياعدو الله .. اخسأ يالعين.. لست أحن على ولدى منى .. ولن تستطيع أن تدفع مكروها عنى.. ورماه بسبع حصيات.. .

ثم جاء الشيطان إلى هاجر عليها السلام. وقال لها: يا هاجر.. يا هاجر.. أدركى يا هاجر.. أدركى ولدك إسماعيل من بين يدى إبراهيم.. إن إبراهيم يريد أن يذبح ولدك وقرة عينك

---

(١) من شعر المؤلف.

(٢) سورة الصافات آية ١٠٠ - ١٠٧.

وفلذة كبدك .. على رؤيا شيطانية.. وما من الله بـه عليه إلا بعد ثمانين عاماً.. أدركي ياهاجر.. أدركي يا هاجر.. وأراد أن يستثير عاطفة الأمومة عندها..

قالـت هاجر عـليهـا السلام: اخـسأ ياعدو الله .. اخـسأ يالـعين.. لسـت أحن علـى ولدى إسماعيل من والده إبـراهيم.. وإن كان إبراهيم عليه السلام قـد رأى رؤيا .. فإن رؤيا الأنبياء وحى من السماء.. ورمته بسبع حصيات..

ثم جاء الشيطان إلى إسـماعيل عليه السلام.. وقال له: يا إسماعيـل لاتطع أباك فيما ذهب إليه.. إنه يريد أن يذبحك على رؤيا شيطانيـة وما من الله بك عليه إلا بعد ثمانين عاماً.. احذر يا إسماعيل.. احذر يا إسماعيل..

قال إسماعيل علـيه السلام: اخسأ يا عدو الله .. اخسأ يالعين.. لـست أحن عليّ من والدى إبراهيـم.. وإن كان أبى إبراهـيم قد رأى رؤيا.. فـإن رؤيا الأنبيـاء وحى من السـماء.. ورماه بسبع حصيات(*).

عندئذ جاء إسماعيل عليه السلام لأبيه.. وقال: ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

وأحضر إبراهيم عليه السلام السكين.. فقال إسماعيل عليه السلام:

(*) يا أبت تلنى على وجهى.. واجعل وجهـى على الأرض.. حتى لاترى دمعى يجرى على خدي فتأخذك الشفقة بى فتثنيك عن أمر الله..

(*) وياأبت سن السكينة جيداً لكى تقطع سريعاً .. حتى لايرق قلبك عليّ فيصرفك عن أمر الله..

(*) وياأبت اشدد وثاقى واربـأ بثيابك بعيداً عنى.. حـتى لايتناثر دمى على ثيـابك فيؤذيك.. فتراه أمى.. فيزيد من حزنها على ذبحى.. ويقلل من أجرى عن ربى.

(*) ويا أبت إن شئت فخذ قميصى إلى أمى.. فلعله يكون أسلى لها عن فقدي..

ونام إسماعيل.. ووضع إبراهيم السكين على رقبته.. وأخذ يجذه جزاً.. ولكن السكينة لم تقـطع.. فقـد صارت شفرتـها كقـطعة مـن الحرير.. فـتمتـم إليها إبـراهيم عـليه الـسلام

(*) ومن هنا فإن الحجاج يرمون إبليس بالجمرات تشبهاً بإبراهيم وهاجر وإسماعيل عليهم السلام.

(١) سورة الصافات آية ١٠٣.. ويـقال إن إبراهيم عليه السلام عنـدما رأى الرؤيا .. ظن أنها من الشيـطان .. فأستعاذ بالله .. فرآها فى الليلة الثانية فأستعاذ بالله .. وظنها من الـشيطان.. فرآها فى الثالثة .. فعلم أنها من الرحمن .. فقام إلى إسماعيل ليحقق رؤياه.. ففداه الله بذبح عظيم وحقق رؤياه.

بكلمات.. قال لها: بئس السكين أنت.. لماذا لا تذبحين.. فأنطق الله السكين وقالت: وأنت يا نبى الله .. يا إبراهيم.. عندما ألقيت فى النار.. لماذا لم تحرقك النار؟!

قال إبراهيم عليه السلام: لأن الله تعالى أصدر للنار أمراً بألا تحرق.. قالت السكين: إن كان الله تعالى قد أصدر أمراً للنار بألا تحرق.. فإن الله تعالى قد أصدر لى سبعين أمراً بألا أذبح.. وهنا نزل جبريل عليه السلام.. بكبش عظيم أبيض أقرن أملح أعين(*).. وهو يقول: الله أكبر .. الله أكبر.. الله أكبر.. ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾(١) فقد جاءت رؤياه كفلق الصبح. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ *﴾(٢) فاحتضن إبراهيم عليه السلام.. ولده إسماعيل عليه السلام.. وقد غلبهما البكاء.. وجمعهما الوفاء - وقال: هنيئاً لك يا إسماعيل .. قد من الله عليك بالفداء.. فقد وهبت اليوم لى.. فخذ لحم فدائك إلى أمك.. فلتصنع لك لحماً وثريداً.. فاليوم يوم عيد.. يوم فدائك يا إسماعيل .. يوم عيد..

وعيد سعيد ويوم مجيد	وعود حميد كيوم الرضاع
وإن طفت بعد طواف الوداع	وقبّلت فيه خير البقاع
ودعت سلاماً على كل ركن	وقلت سلاماً على كل ساع
وخاتم وجهك مسك الختام	بقلب سليم وأمر مطاع
وعدت وقلبك يهفو إليها	فأعددت نفسك من غير داع
نويت على الحج فى كل عام	تفيض دموعك دون انقطاع
فقد عشت معنى طواف القلوب	وحققت معنى طواف الوداع(٣)

آخر ما يفعله الحاج

هذا.. وليكن آخر ما يفعله الحاج إذا ودع البيت: أن يقف بالملتزم بخشوع وجلال ويقول: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك.. حملتنى على ما سخرت لى من خلقك .. وسترتنى فى بلادك حتى بلغتنى بنعمتك إلى بيتك.. وأعنتنى على أداء نسكى.. اللهم إن كنت رضيت

(*) هذا ويقال إن الكبش الذى فدى الله به إسماعيل هو نفسه الكبش الذى تقبله الله من هابيل.. وأنه ظل يرعى فى الجنة أربعين عاماً..

(١) سورة الصافات آية ١٠٤، ١٠٥. (٢) سورة الصافات آية ١٠٥، ١٠٧.

(٣) من شعر المؤلف.

عنى.. فأزدد.. عنى رضا.. وإلا فمن الآن فارض عنى.. من قبل أن تنأى عن بيتك دارى.. فهذا أوان انصرافى.. إن أذنت لى .. غير مستبدل بك ولا ببيتك.. ولا راغب عنك ولا عن بيتك..

اللهم فأصحبنى العافية فى بدنى.. والصحة فى جسمى .. والعصمة فى دينى.. وأحسن منقلبى.. وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى.. واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة.. إنك على كل شىء قدير..

يا أهل النور

يا أهل النور ذنب مغفور
يا أهل النور سعى مشكور
يا أهل النور حج مبرور
يا أهل النور يا أهل النور
يا حاج البيت قد جئت لتأتى
فى نفس الوقت لتطوف وتسعى
وتجوب المسعى سبعاً لاتسعا

يا حاج البيت لك فى الفردوس
بصفاء النفس بيت بالأنس
بنى على خمس
بيت من نور بيت معمور
ببنات الحور وسط الكافور
يا أهل النور يا أهل النور[1]

---

(١) من شعر المؤلف.

(*) «هذا ولم يكن المقصود من الذبح.. ذبح إسماعيل.. وإنما ذبح ما سوى الله فى قلب إبراهيم.. فلقد كان إسماعيل قد من الله به على إبراهيم بعد ثمانين عاماً.. فأحبه حباً جماً.. فأراد الله أن يبتلى إبراهيم عليه السلام لينظر ماذا يصنع .. ولما كان الله قد اصطفى إبراهيم خليلاً.. فكان حقاً على الخليل أن يخرج من قلبه ما سوى خليله.. فكان أن ابتلاه الله فى فلذة كبده وقرة عينه.. لينظر أيتقاعس عن أمر الله أم يقدم ابنه قربانا لمولاه.. وربح إبراهيم وفاز.. وربحت هاجر وإسماعيل عليهما السلام».

العشر الأوائل من ذى الحجة

﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾

سورة الفجر

الرباعيات الخمس المباركات

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: «إن الله تعالى اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة.. ومن النساء أربعة.. وأربعة يسبقون إلى الجنة.. وأربعة تشتاق إليهم الجنة.

فأما الأيام الأربعة:

(١) يوم الجمعة . (٢) يوم عرفة.

(٣) يوم النحر. (٤) يوم الفطر.

وأما الشهور الأربعة:

(١) رجب. (٢) ذو القعدة.

(٣) ذو الحجة. (٤) المحرم

وأما النساء الأربع:

(١) مريم ابنة عمران.

(٢) آسية زوج فرعون (بنت مزاحم).

(٣) خديجة بنت خويلد.

(٤) فاطمة بنت محمد ﷺ.

وأما السابقون إلى الجنة فلكل قوم سابق:

(١) محمد ﷺ سابق العرب.

(٢) سلمان الفارسي سابق الفرس.

(٣) صهيب سابق الروم.

(٤) بلال سابق الحبش.

وأما الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة:

(١) على بن أبي طالب.

(٢) سلمان الفارسي.

(٣) عمار بن ياسر.

(٤) المقداد بن الأسود.

هذه هي الأربعات المباركات.. التي بارك الله فيها.. وخصها بالرحمات والنفحات.. والتي لو وزعت على أهل الأرض والسموات.. لكفتهما فيوضات.. وآيات.. وتجليات.. لا تنتهي ولا تفنى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

العشر الأوائل من ذى الحجة

إن فضل الأيام العشر الأوائل من ذى الحجة.. يفوق فضل كل الأيام.. حتى أقسم الله بها فى قرآنه الكريم: ﴿والْفَجْرِ * ولَيَالٍ عَشْرٍ﴾[1]

وهى أحب الأيام إلى الله تعالى.. وهى أيام التمام.. لموسى عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة.. وأتممناها بعشر.. فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾.. إنها العشر الأول من ذى الحجة

وقد بلغ من حب الله تعالى لهذه الأيام.. أن جعلها خيراً من العشر الأواخر من رمضان.. فإن أيام العشر الأوائل من ذى الحجة خير من أيام العشر الأواخر من رمضان. وإن ليالى العشر الأواخر من رمضان خير من ليالى العشر الأوائل من ذى الحجة.

* فقد روى ابن عباس (رضى الله عنهما) أن النبى ﷺ قال: «ما من أيام العمل فيها. أحب إلى الله من هذه الأيام.. يعنى أيام العشر.. قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله.. قال: ولا الجهاد فى سبيل الله.. إلارجل خرج بنفسه وماله.. فلم يرجع من ذلك بشىء..»[2]

* وعن جابر (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أيام أحب إلى الله.. وأفضل من أيام العشر.. قيل: ولا مثلهن فى سبيل الله.

قال: ولا مثلهن فى سبيل الله.. إلا رجل عفّر جواده وعفّر وجهه فى سبيل الله.

* وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: إن شابًا كان صاحب لهو.. وكان إذا هلَّ هلال ذى الحجة ـ أصبح صائمًا.. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعاه.

---

(١) سورة الفجر آية ١و٢ ,

(٢) متفق عليه.

فقال: ما يحملك على صيام هذه الأيام؟

قال: بأبى أنت وأمى يارسول الله.. إنها أيام المشاعر وأيام الحج.. عسى الله أن يشركنى فى دعائهم.. فقال رسول الله ﷺ: فإن لك بكل يوم تصومه: عدل مائة رقبة.. ومائة بدنة.. ومائة فرس يحمل عليها فى سبيل الله.

فإذا كان يوم التروية: فلك فيه عدل ألف رقبة.. وألف بدنة.. وألف فرس يحمل عليها فى سبيل الله.

فإذا كان يوم عرفة: فلك فيه عدل ألفى رقبة.. وألفى بدنة.. وألفى فرس يحمل عليها فى سبيل الله.

ثم قال ﷺ: «يعدل صوم يوم عرفة بسنتين.. ويعدل صوم عاشوراء بصيام سنة»(١).

وقال أهل التفسير فى قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾(٢).

إنها العشر الأول من ذى الحجة.

وعن عبدالله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: إن الله اختار من الأيام أربعة.. ومن الشهور أربعة.. ومن النساء أربعة.. وأربعة يسبقون إلى الجنة.. وأربعة اشتاقت إليهم الجنة.

فأما الأيام:

فأولها: يوم الجمعة.. فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه.

وثانيها: يوم عرفة.. فإذا كان يوم عرفة.. يباهى الله تعالى ملائكته. فيقولياملائكتى: انظروا إلى عبادى جاءوا شعثًا غبرًا قد أنفقوا الأموال. وأتعبوا الأبدان.. اشهدوا أنى غفرت لهم.

وثالثها: يوم النحر.. فإذا كان يوم النحر.. وقرب العبد قربانه.. فأول قطرة قطرت من القربان.. تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.
(٢) سورة الأعراف آية ١٤٢.

ورابعها: يوم الفطر.. فإذا صاموا شهر رمضان.. وخرجوا إلى عيدهم.. يقول الله تبارك وتعالى لملائكته:

إن كل عامل يطلب أجره.. وعبادى صاموا شهرهم.. وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم.. أشهدكم أنى قد غفرت لهم.. وينادى المنادى: يا أمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات.

وأما الشهور:

فرجب الفرد.. وذو القعدة.. وذو الحجة.. والمحرم.

وأما النساء:

(*) مريم بنت عمران.

(*) وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله.

(*) وآسية بنت مزاحم.. امرأة فرعون.

(*) وفاطمة بنت محمد ﷺ سيدة نساء الجنة

وأما السابقون فلكل قوم سابق:

(*) سيدنا محمد ﷺ سابق العرب.

(*) سلمان سابق الفرس.

(*) وصهيب سابق الروم.

(*) وبلال سابق الحبشة.

وأما الأربعة الذين اشتاقت إليهم الجنة:

(*) على بن أبى طالب (رضى الله عنه)

(*) سلمان الفارسى (رضى الله عنه).

(*) عمار بن ياسر (رضى الله عنه).

(*) المقداد بن الأسود (رضى الله عنه).

وعنه ﷺ: من صام يوم التروية.. أعطاه الله ثواب صبر أيوب عليه السلام على بلائه. ومن صام يوم عرفه.. أعطاه الله ثوابًا مثل ثواب عيسى عليه السلام.

وعنه ﷺ: إذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته.. فليس من يوم أكثر عتقًا من النار منه.

ومن سأل الله يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة.. قضاها له.

وصوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة.. والحكمة فى ذلك.. والله أعلم.. أنه بين عيدين.. وهما يوما سرور للمؤمنين.. ولا سرور أعظم من غفران ذنوبهم..

ويوم عاشوراء بعد العيدين ـ فهو كفارة سنة واحدة.. ولأنه لموسى عليه السلام.. ويوم عرفة لنبينا ﷺ وكرامته تتضاعف على غيره ﷺ[1].

---

(١) من كلام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى (رضى الله عنه).

عيد الأضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر * فصلِّ لربك وانحر * إن شانئكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾

سورة الكوثر

يوم العيد

يقول تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾(١).

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.. الكوثر نهر فى الجنة.

ويقول رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر فى الجنة.. أعطانيه الله.. حافتاه من ذهب.. يجرى على الدر والياقوت.. أشد بياضًا من اللبن.. وأحلى من العسل.. فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر.. قال عمر (رضى الله عنه): إنها لناعمة يارسول الله.. قال ﷺ: أكلها أنعم منها ياعمر.

فصل لربك وانحر:

فكان رسول الله ﷺ يصلى العيد ثم ينحر نسكه.. أى: يذبح الذبائح.. من أجل الفقراء والمساكين.. والسائلين والمحتاجين. واليتامى والبائسين.. فما شرعت الأعياد.. وما شرعت المناسك إلا للتخفيف عن هؤلاء وأولئك.. وإدخال البهجة إلى قلوبهم.. والفرحة إلى نفوسهم.. وما سمى العيد عيداً.. إلا لأنه يعود مرة فى الفطر.. ومرة فى الأضحى.. والمؤمنون يعودون فيهما من طاعة الله تعالى.. بأداء فريضة صيام رمضان.. وأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.. ثم يعودون إلى طاعة رسول الله ﷺ بصيام ست من شوال بعد صيام رمضان.. وزيارة قبره الشريف بعد زيارة البيت الحرام.. ولتكرار ذلك كل عام.. ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالخير والإحسان.. ولعودة البهجة إلى القلوب.. والفرحة إلى النفوس سمى العيد عيداً..

هذا.. وقد خلق الله الجنة يوم عيد الفطر.. وغرس شجرة طوبى يوم عيد الفطر.. واصطفى جبريل للوحى يوم عيد الفطر.. وتاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر.. فمن أحيا ليلتى العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب.

هذا.. وإن لكل شىء زينة.. وزينة الأعياد التكبير.. فزينوا أعيادكم بالتكبير.. كما قال رسول الله ﷺ: «زينوا أعيادكم بالتكبير».

---

(١) سورة الكوثر.

ويروى أن عمر (رضى الله عنه) رأى ولده يوم العيد وعليه ثوب رث قديم.. فبكى.. فقال له: ما يبكيك يا أبتاه؟ فقال: يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك يوم العيد.. إذا رآك الأطفال بهذا الثوب القديم.. فقال الصبى: لا يا أبتاه.. إنما ينكسر قلب من حرمه الله رضاه.. وعق أمه وأباه.. ولم يرض بقضاء الله.. وإنى لأرجو الله أن يرضى عنى برضاك ورضا رسول الله..

فليس العيد لمن لبس الجديد وإنما العيد لمن حسناته تزيد.. وأعماله تفيد.. القريب والبعيد.. والشقى والسعيد.. وكل من يريد.. الخير والمزيد!!

هذا وإذا بكى طفل يتيم اهتز عرش الرحمن.. وقال الله لملائكته: أشهدكم أن من يضحك هذا اليتيم أغفر له ما تقدم من ذنبه.. فتنتظر الملائكة لترى من صاحب هذا الحظ العظيم.. فإذا رأيت يتيمًا يبكى فامسح على رأسه فإن لك بكل شعرة تمر عليها يدك حسنة.. وكان الصالحون لا يأكلون حتى يطعموا اليتامى.. وكان الواحد منهم يقول: أخشى أن أشبع فأنسى الجائع واليتيم.. فإن قرة عينى أن أجد ما تشتهى نفسى فى بطن اليتيم!!

وقد جاء رجل إلى أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) وقال لها: يا أم المؤمنين: جئت أشكو إليك قسوة قلبى.. فماذا أصنع؟!

قالت له: امسح على رأس اليتيم يلن قلبك!!

فإذا رأيت يتيمًا يبكى فامسح على رأسه فإن لك بكل شعرة تمر عليها يدك حسنة..

وذات يوم خرج النبى ﷺ لصلاة العيد.. فرأى الأطفال يلعبون ويمرحون هنا وهناك.. وقد بهرتهم فرحة العيد.. ونشوة الجديد.. إلا صبيًا صغيرًا.. وجده منطويًا فى ركن من زاوية.. مهلهل الثياب.. يئن ويبكى.. فاتجه إليه النبى ﷺ ومسح على رأسه بيده الشريفة.. وقال له: ما يبكيك ياغلام؟! فقال الصبى.. وهو لا يعلم أنه النبى ﷺ: دعنى أيها الرجل.. فإن أبى مات فى إحدى الغزوات مع رسول الله ﷺ وأمى تزوجت من غير أبى.. فأخذ دارى وأكل مالى.. وصرت كما ترانى.. عاريًا جائعًا حزينًا ذليلاً.. فلما أتى يوم العيد رأيت الأطفال يلعبون.. فتجدد حزنى فبكيت!!

فمسح رسول الله ﷺ على رأسه بيده الشريفة وضمه إلى صدره الشريف.. برأفة ورحمة.. وقال له أما ترضى أن أكون لك أبًا.. وعائشة أمًّا.. وعلىّ عمًّا.. وفاطمة والحسن

والحسين إخوة.. فعرف الصبي أنه النبي ﷺ فتهللت أسارير وجهه فرحاً وسروراً وقال: وكيف لا أرضى يارسول الله.

فأخذه النبي ﷺ وتوجه به إلى داره فغسل له رأسه ويديه وقدميه وأطعمه وسقاه وألبسه لباس العيد.. فخرج الصبي يلهو ويلعب مع الصبيان فرحًا مسروراً.. فقال له الصبيان كنت واقفًا بيننا الآن تبكي.. وما يضحكك الآن؟!.. فقال لهم: كنت جائعًا فشبعت. وكنت عاريًا فكسيت.. وكنت بغير أب فأصبح رسول الله ﷺ أبي.. وعائشة أمي.. وعلي عمي.. وفاطمة والحسن والحسين إخوتي.. فقال له الصبيان: ياليت آباءنا ماتوا في الغزوات مع رسول الله ﷺ

وهكذا عاش رسول الله ﷺ ينشر رحمته على العالمين.. الفقراء والمساكين والمحتاجين والسائلين واليتامى والبائسين.. وصدق من سماه الرءوف الرحيم.. وصدق من أرسله رحمة للعالمين!!

الطفل اليتيم

كان الرسول يمشي	في ذات يوم عيدْ
كل الأطفال نشوى	بعيدها السعيد
في زحمة الحياة	ونشوة الجديد
الا فتى رقيق	يمشي بلا رفيق
يبكي على الطريق	كأنه شريد
أو أنه طريد	أو عائم غريق
فحاله ينم	عن أنه يتيم
فوجهه عبوس	وثوبه قديم
دنا الرسول منه	بخلقه العظيم
يندي على يديه	ورأسه السقيم
وضمه برفق	لصدره الرحيم
وقال ما دهاك	يا أيها الكريم

قال الغلام: مات والدي الحبيب

وتزوجت أمي: من آخر غريب

والآن لا أنيس لي ولا جليس

ولا مبيت لي وليس لي قريب

صرخت من حشايا ولا أحد مغيث

وناديت البرايا ولا قلب مجيب

قال الرسول: مهلاً فالله قد كفاك

أترضى أن يكون محمدٌ أباك

وأختك الزهراء وعليٌّ أخاك

هش الفتى وبش وأسرعت خطاه

بلى يا فرحتاه أبي رسول الله

قد عادت لي الحياة وعوضني الإله

عن فقد أبي وأمي بخير خلق الله

هذا هو الإسلام ورسالة السلام

بهذه السكينة وهذه الأناة

اجتازت السفينة مصاعب الحياة

بالرحمة المهداة والنعمة المسداة

رداً على الطغاة وليس بالسيوف

وهو الهادي الرءوف بالحب والسلام(*)

(*) من شعر المؤلف.



يوم الجمعة

«خير يوم طلعت عليه الشمس»

حديث شريف

يوم الجمعة
عيد في كل أسبوع

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

ويقول الهادى البشير ﷺ: «يوم الجمعة سيد الأيام.. وأعظمها عند الله.. وهو أعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم.. وأهبط فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى آدم، وفيه ساعة.. لايسأل الله العبد فيها شيئًا إلا أعطاه، مالم يسأل حرامًا.. وفيه تقوم الساعة.. وما من ملك مقرب، ولا سماء ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا شجر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة»(٢).

ويقول ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»(٣).

ويقول ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت.. غفر له ما بين الجمعتين.. وزيادة ثلاثة أيام.. وذلك لقوله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»(٤).

هذا..

واعلم أن يوم الجمعة.. هو عيد الأسبوع.. قد خصه الله تعالى بما لم يخص به يومًا من الأيام:

إذ هو فى الأيام.. كشهر رمضان فى الشهور..

وساعة الإجابة فيه.. كليلة القدر فى رمضان..

ففيه ساعة قدر.. كما أن فى رمضان ليلة القدر.

أى: فيه ساعة إجابة.. كما أن فى رمضان ليلة إجابة.

---

(١) سورة الجمعة آية ٩.
(٢) رواه ابن ماجه.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

من أجل هذا:

فإن.. من صحت له جمعته وسلمت.. من اللغو والأذى.. صحت له وسلمت سائر أيام الأسبوع.

ومن صح له وسلم رمضان. صح له وسلم سائر العام.. ومن صح له وسلم حجه.. صح له وسلم عمره على الدوام.

وهكذا..:

فإن يوم الجمعة.. ميزان الأسبوع.. وشهر رمضان.. ميزان العام.. والحج.. ميزان العمر.

عيد الأسبوع
صلاة وقربان

هذا..:

ولما كان يوم الجمعة فى الأسبوع.. كالعيد فى العام.. والعيد يشتمل على صلاة وقربان.. جعل الله تعالى الجمعة صلاة.. وجعل التعجيل إلى المسجد قربانا أيضًا.. فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان.. كما جاء فى الصحيحين:

من راح فى الساعة الأولى: فكأنما قرب بدنة ..

ومن راح فى الساعة الثانية: فكأنما قرب بقرة ..

ومن راح فى الساعة الثالثة: فكأنما قرب كبشا ..

ومن راح فى الساعة الرابعة: فكأنما قرب دجاجة ..

ومن راح فى الساعة الخامسة: فكأنما قرب بيضة ..

ولهذا:

تقف الملائكة عند أبواب المساجد يوم الجمعة، تكتب الأول فالأول حتى إذا خرج الإمام للخطبة.. طويت الصحف.

هذا..:

ولقد خص الله تعالى هذا اليوم الجليل بخواص جليلة.. لم تجتمع ليوم مثله. ومن هذه الخواص:

(١) صلاة الجمعة هى أعظم جمع للمسلمين بعد جمع عرفة.. ومن تركها طبع الله على قلبه.. وإن أقرب أهل الجنة.. يوم القيامة.. وأسبقهم إلى زيارة ربه يوم المزيد.. أقربهم من الإمام يوم الجمعة.. وأسبقهم إلى المسجد.

(٢) السواك فيه له فضل كبير على السواك فى غيره.

(٣) التبكير إلى الصلاة فيه قربان إلى الله أعظم.

(٤) الاشتغال بالصلاة.. والذكر.. والقرآن حتى يصعد الإمام المنبر.

(٥) الإنصات إلى الخطبة بخشوع وجلال.

(٦) قراءة سورة الكهف فى يومها لقوله ﷺ: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة ـ سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء.. يضيء به يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين».

(٧) لايكره أداء الصلاة فيه وقت الزوال كما يكره فى غيره.

(٨) قراءة سورة «الجمعة» وسورة «المنافقون» أو «سبح» و«الغاشية» فى صلاة الجمعة ـ فقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن فى صلاة «الجمعة».

(٩) إنه يوم عيد متكرر كل أسبوع.. لما ورد عن أبى لبابة بن عبد المنذر.. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يوم الجمعة.. سيد الأيام.. وأعظمها عندالله.. وهو أعظم عندالله من يوم الفطر ويوم الأضحى.. فيه خمس خلال:

(*) خلق الله فيه آدم.

(*) وأهبط فيه آدم إلى الأرض.

(*) وفيه توفى آدم.

(*) وفيه ساعة لايسأل الله العبد فيها شيئًا إلا أعطاه.. ما لم يسأل حرامًا.

(*) وفيه تقوم الساعة.. وما من ملك مقرب ولاسماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا شجر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة»[1].

(١٠) يستحب أن يلبس المسلم فيه أحسن الثياب.. وأن يتخذ ثوبين جديدين لها.. لقوله ﷺ: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته»[2]

وذلك قوله تعالى: ﴿يا بنى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[3].

(١١) إنه يستحب تجمير المسجد بالعود والبخور.. وكان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يأمر بذلك كل جمعة.

(١٢) عدم جواز السفر يوم الجمعة إلا لضروة تقتضى ذلك.

(١٣) إن للماشى إلى المسجد يوم الجمعة بكل خطوة أجر سنة، صيامها، وقيامها، لحديث النبى ﷺ: «من غسل أو اغتسل يوم الجمعة، وبكر أو ابتكر، ودنا من الإمام.، فأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها.. وذلك على الله يسير»[4].

(١٤) إنه يوم تكفير السيئات.. لما ورد عن سلمان رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: أتدرى ما يوم الجمعة؟

قلت: هو اليوم الذى جمع الله فيه آدم.

قال: ولكنى أدرى ما يوم الجمعة.. لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره، ثم يأتى الجمعة فينصت حتى يقضى الإمام صلاته.. إلا كانت كفارة لما بين الجمعتين ما اجتنبت الكبائر[5].

(١٥) إن جهنم تملأ كل يوم.. إلا يوم الجمعة.. وذلك لأنه أفضل الأيام عند الله تعالى. ويصعد فيه من الطاعات والعبادات والصلوات.. مالا يصعد فى غيره.. حتى إن أهل المعاصى الذين لا يؤدون الصلاة طوال أيام الأسبوع.. يصلون الجمعة حياء من الله عز وجل.

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه أبوداود.

(٣) سورة الأعراف آية ٣١.

(٤) رواه أحمد

(٥) رواه الحاكم.

الجمعة مؤتمر إسلامى

إذا صعد الإمام.. فلا سلام ولا كلام.

الخطبة صلاة

ولما كانت الجمعة ركعتين.. كانت خطبة الجمعة ركعتين أيضًا.. فيكون مجموعها أربع ركعات.. هى نفسها صلاة الظهر.. ولكن الله تعالى جعل ركعتين صلاة.. وركعتين خطبة .. فكانت الخطبة صلاة .. ولا يجوز الكلام فى الصلاة .. ولهذا من تكلم والإمام يخطب.. فلا جمعة له.. لأنه كمن تكلم فى الصلاة.. ومن تكلم فى الصلاة.. فقد بطلت صلاته.

إن صلاة الجمعة مؤتمر إسلامى كبير.. يعقد كل أسبوع.. يقوم فيه الإمام بتذكير الناس.. ودعوتهم إلى الله ورسوله.. وتوجيههم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.. حتى يجلو صدأ القلوب.. وخبث النفوس.. «ألا بذكر الله تطمئن القلوب».

لذا.. فلا يجوز شرعًا أن يقف الإمام يدعو المسلمين إلى الخير.. وهم فى غفلة عنه.. بالكلام أو السلام.. أو نحو ذلك.

لهذا.. حذر رسول الله ﷺ من يفعل ذلك بضياع ثوابه من الجمعة إلى الجمعة.. فقال ﷺ:

(*) «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت والإمام يخطب.. فقد لغوت» ومن لغا.. فلا جمعة له.

وقال ﷺ: «إذا تكلمت يوم الجمعة.. فقد لغوت وألغيت». أى: ألغيت ثواب جمعتك.

هذا...

وقد روى أبوذر (رضى الله عنه) قال: «دخلت المسجد يوم الجمعة.. والنبى ﷺ يخطب.. فجلست قريبًا من أبى بن كعب.. فقرأ النبى ﷺ سورة «براءة» فقلت لأبى بن كعب: متى نزلت هذه السورة؟

فتجهمنى ولم يكلمنى، ثم مكثت ساعة، ثم سألته، فتجهمنى ولم يكلمنى، ثم مكثت

ساعة، ثم سألته، فتجهمنى ولم يكلمنى، فلما صلى النبى ﷺ قلت لأبى: سألتك فتجهمتنى ولم تكلمنى؟

قال أبى: مالك من صلاتك إلا مالغوت. فذهبت إلى النبى ﷺ فقلت: يا نبى الله.. كنت بجانب أبى وأنت تقرأ «براءة» فسألته متى نزلت هذه السورة؟ فتجهمنى ولم يكلمنى.. ثم قال: مالك من صلاتك إلا ما لغوت.

قال النبى ﷺ: «صدق أبى»(1).

وما روى عن جابر (رضى الله عنه) قال: «قال سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) لرجل: لا جمعة لك.. فقال النبى ﷺ لم ياسعد؟

قال: لأنه كان يتكلم وأنت تخطب.. فقال النبى ﷺ: «صدق سعد»..

تأمل هذه الأحاديث: وانظر إلى حال المسلمين اليوم.. لايحلو لهم الكلام إلا والإمام يخطب.. ولا يصبرون بضع دقائق حتى يفرغ الإمام من خطبته.. وكأنهم يقاومون جبلا ثقيلاً يوشك أن ينقض عليهم.

هذا...

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن تخطى الرقاب.. وإيذاء الجالسين.. فلقد شاهد رسول الله ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة رجلاً يتخطى الرقاب.. فقال له المصطفى ﷺ: «اجلس.. فقد آذيت وأنيت»(2).

ثم قال ﷺ: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم»(3).

وذات يوم بينما الرسول ﷺ يخطب الجمعة.. إذ جاء رجل يتخطى الرقاب حتى جلس قريباً من النبى ﷺ.. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته.. قال له: ما منعك يافلان أن تجمع معنا.

قال: يارسول الله حرصت أن أضع نفسى بالمكان الذى ترى.. قال ﷺ: قد رأيتك تتخطى رقاب الناس وتؤذيهم.. ومن آذى مسلمًا فقد آذانى.. ومن آذانى فقد آذى الله عزوجل(4).

---

(1) رواه أبوخزيمة.. وقوله تجهمنى أى: عبس فى وجهى.

(2) رواه أحمد وغيره.. وقوله: آذيت وآنيت. أى: أبطأت وتأخرت.

(3) رواه الترمذى.

(4) رواه الطبرانى.

ومن يرضى أن يؤذى الله ورسوله؟ لا أحد ـ حاشا لله.

بدعة فى المساجد

هذا..

وقد نرى فى هذه الأيام من يقوم بناء على توجيه من الأئمة بجمع التبرعات.. أثناء خطبة الجمعة والإمام يخطب.. ويتخطى الرقاب.. ويتكلم مع المصلين.. ويتكلمون معه.. ويعطونه ويأخذ منهم وما يتبع هذا.. من كلام لا يمت للإسلام بصلة.. وهذه دعوة باطلة.. وبدعة سيئة.. أهيب بمرتكبيها من الأئمة أن يراعوا الله فيها.. وأن يتداركوها حتى لا تضيع الصلاة على المسلمين كل جمعة.. وتفقد جلالها وخشوعها.. وما أعده الله لهم من الأجر والثواب.. كما أهيب بالمسلمين ألا يدفعوا لحملة هذه الصناديق شيئًا أثناء الخطبة.. حتى لا تضيع صلاتهم.. وأن يضعوها فى الصناديق المخصصة لذلك على باب المسجد.. بعد الصلاة وليس أثناء الخطبة أو يقف من يجمع هذه التبرعات على باب المسجد بعد انقضاء الصلاة.. حفاظًا على حرمة المسجد وقدسيته.

خطبة الرسول
فى فضل صلاة الجمعة

هذا..

ولقد خطب رسول الله ﷺ المسلمين خطبة عصماء فى فضل يوم الجمعة بين فيها:

«يا أيها الناس: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية: ترزقوا وتنصروا وتجبروا.. واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا.. وفى يومى هذا.. فى شهرى هذا.. من عامى هذا.. إلى يوم القيامة،، فمن تركها فى حياتى أو بعدى.. وله إمام عادل أو جائر استخفافًا بها، وجحودًا بها، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له فى أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولابر له، حتى يتوب. فمن تاب.. تاب الله عليه»[1].

---

(١) رواه مسلم والحاكم.

فاحذر أن تترك الجمعة ـ حتى يجمع الله عليك خيرى الدنيا والآخرة.. ويجمع لك السعادة فى الدارين.

وأدعوك إلى الجمعة.. صلاة الجماعة.. ومؤتمر الطاعة للمسلمين من كل أسبوع .. حتى تكون من الذين يعمرون مساجد الله.. والذين يؤمنون بالله واليوم الآخر.. والذين يجعلون الإسلام أمام أعينهم.. لا وراء ظهورهم.. كما قال ابن عباس (رضى الله عنه): «من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات: فقد نبذ الإسلام وراء ظهره».

نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين..

عاقبة ترك الجمعة

هذا..:

وقد يغضب المرء إذا تأخر عليه طعامه وشرابه عن وقته.. ولايغضب إذا أخر الصلاة عن وقتها.. وشتان بين المتقابلين..

فهذا ميقات الطعام.. قد وَقَّتَه هو لنفسه..

أما ميقات الصلاة فقد وقته الله له.. ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[1].

هذا ميقات الله.. وهذا ميقات العبد.. هذا ميقات الخالق وهذا ميقات المخلوق .. هذا ميقات للدنيا.. وهذا ميقات للآخرة.. وشتان بين الميقاتين..

ولهذا قال الإمام ابن حزم: ذنبان لم أجد أشد منهما بعد الشرك بالله:

رجل أخر الصلاة حتى فات وقتها..

ورجل أفطر فى رمضان من غير عذر..

هذا..:

ولقد قال الهادى البشير ﷺ: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلى بالناس.. ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»[2].

ثم يقول داعيًا ومحذراً:

(١) سورة النساء آية ١٠٣.

(٢) رواه مسلم والحاكم.

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.. فليسع إلى الجمعة.. ومن استغنى عنها بلهو أو تجارة .. استغنى الله عنه والله غنى حميد»[1].

هذا..:

واعلم أن من ترك صلاة الجمعة.. فقد حجب النور عن قلبه فأظلم.. وأظلمت جوارحه وحواسه.. وكان كالآلة الصماء التى تعمل بلاحس .. جسداً بلا روح..

واسمع إلى المصطفى ﷺ وهو يقول:

«من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها.. طبع الله على قلبه»[2].

أى: ختم عليه بخاتم الغضب.. وغشاه بالدنس والران..

هذا: ..

وقد يصل الأمر إلى أكثر من هذا.. أن يحشر فى زمرة المنافقين.. لقوله ﷺ: «من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين..»[3].

الثلاث المنجيات
والثلاث المهلكات

هذا...:

ولقد أفضنا فى الحديث عن فضل يوم الجمعة لما له من مكانة سامية فى قلوب المسلمين.. ولما له من خطر عظيم.. وتأثير مؤلم.. ووقع موجع على نفوس أعداء الله .. فى الشرق والغرب على حد سواء.. والحق ما شهدت به الأعداء.. ونطقت به ألسنتهم دون خفاء.. عن دين الإسلام.. وهو كما يصفون: الزلزال القادم.

فقد حدث أن المستر «جلادستون» رئيس وزراء بريطانيا.. فى أواخر القرن التاسع عشر ـ حدث أن ألقى خطاباً فى مجلس العموم.. قال فيه: إنه لن يقوم لمستعمراتنا قائمة فى الشرق.. إلا إذا تمكنا من القضاء على ثلاثة أشياء للمسلمين..:

(١) رواه الطبرانى
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه البزار.

(١) المصحف.

(٢) صلاة الجمعة.

(٣) الوقوف بعرفة.

وكان فى يده مصحف يلوح به للأعضاء..

فأخذت الحماسة أحدهم.. فقام كالمحموم .. وخطف المصحف من يده ومزقه فقال له: جلادستون رئيس الوزراء: ما أردت تمزيقه هكذا.. أيها الأحمق.. إنما أردت تمزيقه من صدور المسلمين..

ما معنى هذا؟

إن لهذه الحادثة من المعانى مالايعزب عن فكر أى مسلم، وله من الدلالات مالا يغيب عن وجدان أى مؤمن..

فإن هذه الدعائم: المصحف، والجمعة، وعرفات.. دعائم يرتكز عليها صرح الإسلام الشامخ..

المصحف: بتعاليمه، وقوانينه، وتوجيهاته، وهديه، ونوره، وذكره، وعلمه.. يهيمن بأجنحته على كل مسلم.

الجمعة: بجلالها وعلو قدرها، ورفعة شأنها، مؤتمر إسلامى أسبوعى.. يغسل القلوب إذا ما تراكم عليها الصدأ.. وعلتها الغشاوة والغفلة.

عرفات: بجلاله، وروحانياته، وبهجته، وكماله، وجماله: مؤتمر إسلامى ينعقد كل عام، ترتفع فيه الحناجر: تهتف بواحدانية الخالق وعظمته.

من الذى جمعهم من شتى بقاع الأرض وهم أمم مختلفون؟

إنها استجابه الله تعالى لدعوة أبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم﴾[1].

فهل انتبهنا إلى ما يحاك ضد الإسلام والمسلمين من مؤامرات؟

---

(١) سورة إبراهيم آية ٣٧.

أما آن الأوان لنا أن نفيق ونتنبه لما يدور فى الظلام على أيدى أعداء الإسلام ضد الإسلام.. وضد القرآن.. وضد الجمعة.. وضد الحج؟.

أما آن الأوان..

قبل حلول الهوان.؟!

خير يوم طلعت عليه الشمس

إن «خير يوم طلعت عليه الشمس .. يوم الجمعة: فيه خلق الله آدم.. وفيه أدخل الجنة. وفيه أخرج منها».

ومن خواص يوم الجمعة:

استحباب الصلاة فيه على النبى ﷺ وفى ليلته لقوله ﷺ: «أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة وليلة الجمعة».

ورسول الله ﷺ سيد الأنام.. ويوم الجمعة سيد الأيام.. فللصلاة عليه فى هذا المقام.. ميزة ليست لغيره، مع حكمة أخرى، وهى أن كل خير نالته أمته فى الدنيا والآخرة.. إنما نالته على يده، فجمع الله لأمته به بين خيرى الدنيا والآخرة..

فأعظم كرامة تحصل لهم.. إنما تحصل يوم الجمعة.. فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم فى الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيد لهم فى الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم.. ولايرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده.

فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه ﷺ: أن نكثر من الصلاة عليه فى هذا اليوم وليلته.. كما قال ﷺ: «إن أفضل أيامكم.. يوم الجمعة: فيه خلق الله آدم.. وفيه قبض.. وفيه النفخة.. وفيه الصعقة.. فأكثروا من الصلاة علىّ فيه.. فإن صلاتكم يوم الجمعة معروضة علىّ، قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك.. وقد أرمت؟ أى: بليت فقال ﷺ: «إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[1].

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما.

الجمعة زهراء

يقول تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ * يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ * وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

هذا.. : وكما أن الحج زهرة العمر.. ورمضان زهرة الشهور.. فإن الجمعة زهرة الأيام.. على الدوام..

روى أبو موسى الأشعرى (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «تحشر الأيام على هيئتها، وتحشر الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى خدرها، تضىء لهم يمشون فى ضوئها.. ألوانهم كالثلج بياضاً، وريحهم كالمسك .. يخوضون فى جبال الكافور.. ينظر إليهم الثقلان، لايطرفون تعجباً حتى يدخلوا الجنة.. لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»(٢).

ولما كان قيام الساعة فى هذا اليوم العظيم.. فإن الدواب تفزع عند طلوعه، خوفاً وإشفاقاً من قيام الساعة فيه.

فقد روى أبو هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال: «لاتطلع الشمس ولاتغرب على أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهى تفزع يوم الجمعة، إلا هذين الثقلين: الجن والإنس»(٣).

إنه يوم الجمعة.. يوم قيام الساعة..

إنه يوم الجمعة اليتيمة التى لن تكون بعدها جمعة.

---

(١) سورة غافر آية ١٥ - ٢٠.

(٢) رواه الطبرانى.

(٣) رواه ابن خزيمة .

إنه يوم الجمعة الأخيرة .. فى نهاية المسيرة.. التى لن يؤذن فيها المؤذن لصلاة الفجر.. ولن يقول الصلاة خير من النوم.. ولن يذهب فيه أحد إلى المساجد لصلاة الجمعة.. فقد أشرقت الشمس من مغربها.. وقد رفعت الأقلام.. وطويت الصحف.. ونجا من نجا.. وهلك من هلك..

هذا...:

وقد روى أبو هريرة (رضى الله عنه) قال: قيل للنبى ﷺ أى شىء يوم الجمعة؟

قال: لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة، وفيها البعثة، وفيها البطشة، وفى آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها: استجيب له»[1].

---

(١) رواه احمد.

خاتمـــة

«إن لكم فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها»[1] قبل فوات الأوان

فمن فاته الليل والنهار.. فلا تفوته ساعة الأسحار.. بالدعاء والاستغفار..

ومن فاته أيام الأسبوع.. فلا يفوته يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس والنهار..

ومن فاته يوم الجمعة.. فلا تفوته ساعة الإجابة فيه.. وهى ساعة الصفاء..

ومن فاته أيـام الشهر.. فلا تفوته الأيام البـيض منه.. الثالث عشر، الرابـع عشر، الخامس عشر.. وهى ليالى التمام.

ومن فاته شهر محرم.. فلا يفوته تاسوعاء وعاشوراء.

ومن فاته شهر ربيع.. فلا تفوته ليلة الميلاد..

ومن فاته شهر رجب.. فلا تفوته ليلة الإسراء..

ومن فاته شهر شعبان.. فلا تفوته ليلة النصف من شعبان..

ومن فاته شهر رمضان.. فلا يفوته العشر الأواخر من رمضان..

ومن فاته شهر شوال.. فلا تفوته ستة أيام من شوال..

ومن فاته شهر ذى الحجة.. فلا يفوته يوم عرفة بالصيام والدعاء..

ومن فاته العام كله.. فلا تفوته ليلة القدر كل عام..

ومن فاته العمر كله.. فلا يفوته الحج إلى بيت الله الحرام..

ومن فاته كل هـذا.. فلا تفوته «لا إله إلا الله» فهى الكلـمة الطيبة.. وهى الكلمـة الباقية.. وهى كلـمة التقوى.. وهى الـعروة الوثقى.. وهى خـير من السموات والأرض.. وخـير من الدنيا وما فيها.. وهى مفتاح دخول الإسلام.. وهـى مفتاح دخول الجنة.. وهى مفتاح كل خير ومغلاق كل شر.. وهى الحياة.. وهى النجاة.. وهى السعادة فى الدارين..

فمن أدرك لا إله إلا الله.. فقد أدرك كل شىء..

ومن فاته لا إله إلا الله.. فقد فقد كل شىء..

ومن قال لا إله إلا الله.. دخل الجنة.. دار السلام..

---

(١) حديث شريف.

المراجع

١ - القرآن الكريم.
٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٣ - تفسير القرآن العظيم (لابن كثير).
٤ - تفسير فى ظلال القرآن (للشهيد سيد قطب).
٥ - تفسير القرطبى
٦ - تفسير الجلالين
٧ - تفسير أبى السعود
٨ - تفسير المنار (للشيخ رشيد رضا).
٩ - صفوة التفاسير (للشيخ محمد على الصابونى)
١٠ - تفسير الطبرى
١١ - فتح البارى شرح صحيح البخارى
١٢ - صحيح مسلم
١٣ - مسند الإمام أحمد
١٤ - سنن أبى داود
١٥ - زاد المعاد (لابن القيم).
١٦ - الترغيب والترهيب (للمنذرى).
١٧ - الدين الخالص (محمود خطاب السبكى)
١٨ - فقه السيرة (للبوطى)
١٩ - فقه السنة (للسيد سابق).
٢٠ - الفقه على المذاهب الأربعة.
٢١ - إحياء علوم الدين للغزالى)
٢٢ - مقدمة ابن خلدون
٢٣ - أحكام القرآن (لابن العربى)
٢٤ - لسان العرب (لابن منظور).
٢٥ - مختار الصحاح (للرازى).
٢٦ - المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية).
٢٧ - مفردات القرآن (للأصفهانى).
٢٨ - البداية والنهاية (لابن كثير).
٢٩ - الأحاديث القدسية (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)
٣٠ - رياض الصالحين (للنووى)
٣١ - الموطأ (للإمام مالك).
٣٢ - الدر المنثور (للسيوطى).
٣٣ - الدرارى المضيئة (للشوكانى)
٣٤ - فضائل القرآن (لابن كثير)
٣٥ - روح المعانى (للألوسي)
٣٦ - الروح (لابن القيم).
٣٧ - الأذكار (للنووى)
٣٨ - الجواب الكافى (لابن القيم الجوزية)
٣٩ - صيد الخاطر (لابن الجوزى)
٤٠ - غاية الحكيم (لمسلمة بن أحمد)
٤١ - مكاشفة القلوب (للغزالى)
٤٢ - مفتاح السعادة (لابن القيم).
٤٣ - الطب النبوى (لابن القيم).
٤٤ - خزانة الأدب (للبغدادى).
٤٥ - من وصايا القرآن (دار التراث العربى)
٤٦ - تفسير الأحلام (لابن سيرين)
٤٧ - تفسير الأحلام (للنابلسى)
٤٨ - فى رحمة الله (للمؤلف).
٤٩ - حديقة الأولياء (للمؤلف)
٥٠ - لآلئ ودرر من عدالة عمر (للمؤلف)
٥١ - لؤلؤ ومرجان (للمؤلف)
٥٢ - من خشية الله (للمؤلف).
٥٣ - السعى إلى الآخرة (للمؤلف)
٥٤ - أسماء الله الحسنى (للمؤلف)
٥٥ - رمضان كريم (للمؤلف)

❁❁❁

فهرس


دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع
١٢ ش البركة الناصرية (من نوبار) لاظوغلي - ت: ٣٥٥٤٣٧٦٠
القاهرة - جمهورية مصر العربية